روايات الهلال للأولاد والبنات

سلسلة تاريخ مصر



الأهرامات.. الرحلة المستحيلة

أحمد زحام

قبل أن تقرأ

التاريخ لم ولن يكون مجرد حواديت نتسلى بها قبل النوم .. ولكنه المؤشر الأهم الذى يحكم على مدى ثراء أو إفلاس الأمم والشعوب .. فالأمة التى تمتلك التاريخ والحضارة هى الأكثر ثراء وعراقة ولذلك تصبح مثل هذه الأمم مستهدفة ممن لا يملكون التاريخ والعراقة .. وربما يفسر لنا هذا تلك الحملة الشرسة ضد بؤرة التاريخ والحضارة والمتمثلة فى العالم العربى .. تلك الحملة التى تتلخص فى (قائمة) من المطالب تبدأ بتجديد الخطاب الدينى وتنتهى - ربما - بتجديد الخريطة الوراثية لشعوب هذه المنطقة .. ! ومن المؤسف أن البعض منا إما عن قصد أو عدم معرفة يشارك فى هذه الحملة الشرسة وذلك بتهميش أو إلغاء التاريخ والجغرافيا فى التعليم والإعلام مما يمثل أكبر الخطر على (الذاكرة الوطنية) لدى الأجيال الجديدة من الأطفال والشباب .. ولكى نتصدى لمحاولات (تجريف الوعى الوطنى) وإنتشار (الأمية الوطنية) كانت فكرتنا الجديدة فى الجمع ما بين التاريخ والأدب فى (سلسلة تاريخ مصر) .. تلك السلسلة التى يشارك فى كتابتها مجموعة من ألمع أدباء مصر - وتأتى كأول محاولة - ربما فى العالم كله لأن تكتب أمة تاريخها بالأدب .. وتهدف إلى الحفاظ على التاريخ وتقديم النموذج الذى يحتذى ، والشحن بالتحدى والإرادة لصناعة مستقبل لا يخجل منه التاريخ.

رئيس التحرير

مقدمة

مصر هبة البنائين

أخطأ المؤرخ الكبير (هيرودوت) عندما أكد على أن مصر هبة النيل.. وذلك لأن النيل هبة المصريين.. بينما مصر هبة البنائين.. فمن خوفو إلى جمال عبدالناصر.. من الهرم الأكبر إلى السد العالى.. رحلة طويلة ورائعة من البناء والتشييد.. أهرام .. مسلات.. معابد.. قلاع.. قناطر.. سدود.. قصور.. إلخ.. والأهم أن كثيراً من (البناء المصرى) محفور بأحرف النور والخلود على جدار الزمن.. ولن نغالى إذا قلنا إنه بناء يتحدى الزمن.. فأهرامات مصر ستظل الرمز الأكبر للحضارة الإنسانية.. والرمز الأبهى لإرادة المصريين فى القدرة على البناء والتشييد الذى يتجاوز (سقف الخيال).

وقد بدأت فكرة الهرم فى العقيدة المصرية القديمة ربما منذ عصر ما قبل الأسرات.. حيث تم العثور فى (دنفيق/ قنا) على أحجار مكونة على هيئة التل أو الهرم وذلك حوالى ٥٠٠٠ ق.م.

أما فكرة الهرم ككيان معمارى يحمل بصمة شديدة

الخصوصية فقد بدأت فى عصر الأسرة الأولى حيث عثر علماء الآثار داخل البناء المصمت لمقبرة فى سقارة على شكل هرمى مدرج مخبوء فى بناء المصطبة.

وبشكل عام فإن أقدم ظهور لشكل الهرم يتمثل فى ذلك الرسم الموجود على أحد الأطباق الفخارية من نقاده (فى سوهاج) وهو الآن فى متحف القاهرة وينتمى هذا الرسم إلى عصر نقاده الأولى ويصور شكلين هرميين وقرص شمس مما يؤكد ارتباط فكرة الهرم بالشمس منذ عصور ما قبل التاريخ..

وقد بدأت الأهرامات على شكل مصطبة حيث عثر على أول قبر بنى للملك زوسر وهو على شكل مصطبة حقيقية مبنية من الحجر الجيرى المحلى ثم بنى فوقها الملك مصطبة ثانية ولكنها أصغر ثم توالت المصاطب حتى بلغت سبعة بعضها فوق بعض وكان الملك يهدف إلى تحقيق علو المكانة حتى بعد الممات كما كان يعمل على أن يشرف قبره على قبور رجال بلاطة وعظماء دولته التى كانت حول قبره ويهدف هذا الهرم المدرج أيضا إلى أن يكون أو بناء ترسل الشمس أشعتها عليه من كل جوانبه عند الشروق.

وقد بدأت فكرة الهرم كمركز لمجموعة جنزية فى الأسرة الثالثة بعد أن بنى الملك (جسر) ثانى ملوك هذه الأسرة هرماً مدرجا وسط مجموعة جنزية فى سقارة.. وتطور البناء إلى أن وصل إلى الشكل الهرمى الكامل فى نهاية الأسرة الثالثة على يد الملك حونى الذى بنى هرماً فى ميدوم أكمله ابنه سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة (هرم ميدوم فى بنى سويف).

وقد بلغت عمارة بناء الأهرامات إلى قمتها على يد الملك خنوم خوف وى (خوفو) ثانى ملوك الأسرة الرابعة والذى بنى أكبر عجائب الدنيا قديما وحديثا رغم محاولات التآمر عليه بإجراء مسابقة مشبوهة لاختيار عجائب الدنيا السبعة فى العصر الحديث والتى سيعلن عنها فى (٢٠٠٧/٧/٧).

وقد حاول الملك خفرع أن يطاول هرم أبيه فلم يستطع فلجأ إلى الحيلة فبنى هرمه فوق أرض مرتفعة فى جبانة الجيزة الملكية.

ويحتل الهرم مركز ما يسمى المجموعة الهرمية وتتكون عناصرها الرئيسية من معبد الوادى - الطريق الصاعد - المعبد الجنزى - الهرم .. وهناك عناصر شعائرية مهمة وهى الهرم الجنوبى أو الجانبى -

مراكب الشمس - الهُريم الذى يتوج الهرم - أهرام الملكات.. كما توجد عناصر إدارية أيضا مثل مدينة العمال - مقابر العمال - الضياع - الحظائر - الورش الملكية والأهم من ذلك كله المدينة الهرمية وبعيداً عن الإعجاز المعمارى الذى يتسم به بناء الهرم فإنه من رؤية فلسفية عقائدية تتعلق بنظرية نشأة الخلق وفقا للعقيدة الشمسية عند المصرى القديم والتى ترى أن الكون كان فى البدء (محيط ماء أزلى) ثم ظهر تل أزلى فى هيئة هرمية تجلى فوقه الإله الخالق الذى قام بخلق الآلهة الثمانية شو - تفنون - جب - نوت - أوزير - إيسة - نبت حت - ست ..

وإنطلاقا من هذه النظرية يتضح أن الملك عندما يدفن فى الهرم فإنه يتواجد تحت رمز لنشأة الكون وهو رمز يحمل رؤى للبعث عميقة الأثر.

ويرى العلماء أن جوانب الهرم تشير إلى أشعة الشمس التى تعد درجا (سلم) يصعد عليه الملك المتوفى إلى السماء كما أن قاعدة الهرم المربعة توافق الاتجاهات الأربعة الأصلية (شمال - جنوب - شرق - غرب) مما يؤكد أن المصرى القديم قد وصل إلى درجة عالية من العلم فى الجغرافيا.. وبشكل عام فإن

الأهرامات نموذج معمارى رائع ودقيق وفخم أثبت من خلاله المهندس المصرى القديم دقة رائعة فى البناء بل استطاع أن يؤكد على وجود مدرسة مصرية متفردة فى علم الهندسة.. وهذا ما حدث مع المصرى فى العصر الحديث عندما بنى السد العالى.. كما يؤكد الهرم على قدرة علماء الفلك فى مصر القديمة على تحديد الجهات الأربع المواجهة لجوانب الهرم بدقة وكذلك مدخل الهرم فى الجهة الشمالية..

كما أثبت بناء الهرم القدرة الإدارية الفائقة للمصرى القديم فى تقسيم العمل إلى مجموعات والتناوب وترتيب الأدوار .. إلخ (وقد تكرر نفس النموذج فى بناء السد العالى).

وتم جلب الأحجار الجيرية لبناء الهرم من محاجر طرة أما الأحجار الداخلية فكانت تأتى من موقع العمل.. كما يتم جلب الأحجار الصلدة مثل الجرانيت والديوريت والألبستر من أسوان ومن منطقة حتنوب بين بنى سويف والمنيا..

وقد تم استخدام الروافع والزلاجات والجسور الترابية فى بناء الهرم.. وقد أثبتت الحفائر فى منطقة الأهرامات أن أعداداً كبيرة من المصريين عملوا فى

بناء الهرم وقد خصصت لهم مواقع للسكن وأخرى للدفن فى منطقة الأهرامات كما أثبتت الفحوص التى أجريت على بعض مومياوات العمل تعرض الكثير منهم لأمراض وكسور عولجوا منها فى موقع العمل.

وتؤكد كل هذه المعلومات أن الهرم إعجاز مصرى عملاق كما تعمل على دحض كل الخزعبلات التى روج لها بعض علماء الغرب من أن أحجار الهرم قد تم تجميعها عن طريق مادة كيماوية خاصة ذات طبيعة لاصقة قوية.

وقد استمر الهرم كبناء للمقبرة الملكية حتى عصر الانتقال الثانى (الأسرات من ١٣ - ١٧) ولم يكن ذلك يعنى نهاية الشكل الهرمى معماريا حيث استمر الهرم كعنصر معمارى فى مقابر كبار رجال الدولة فى عصر الأسرتين ١٨ - ١٩ فى سقارة.. إلا أنه لم يكن موضعا للدفن.. كما كان الشكل الهرمى عنصراً مهما فى مقابر الفنانين فى دير المدينة (عصر الدولة الحديثة فى الأقصر)..

ويلفت النظر فى قصة الهرم أن المصرى القديم قد اهتم بتشييد المقابر أكثر من اهتمامه بتشييد البيوت حيث بنى المقابر بالحجر وبنى البيوت من الطين وذلك

لأنه كان يؤمن بالبعث بعد الموت وبالحياة الآخرة .. كما اهتم المواطن العادى بالدفن بجوار الملك وذلك لأن الملك الفرعون كان إلهاً مما ينفى بناء الأهرامات بالسخرة حيث كان العمال ينطلقون من عقيدة دينية عند بناءهم للأهرامات لأنهم يعملون فى خدمة (الملك الإله) .

وإذا كانت أهرامات مصر التى عثر عليها حتى الآن أكثر من ٨٠ هرماً تؤكد على أن مصر هبة البنائين.. تعشق من يبنيها بل تعيش فيه وتمنحه الخلود.. وفى المقابل فإن مصر تنفر ممن يبيعون الأوطان أو يتاجرون بها وتصب عليهم لعنتها.. ومن هذا المنطلق يصبح الاختيار أمامنا إما (لعنة البياعين) أو خلود البنائين.

محمد الشافعى

حكاية طارق

طارق يحب أن يحلم ، وبسبب حبه للأحلام والتخيلات عاش بعض الحكايات التي لا يصدقها عقل مثل هذه الحكاية المليئة بالخيال ، عندما حكاها لي صدقته ، فأنا مثله ومثلك نحب الحكايات التي تصف أشياء غير موجودة أو غير معقولة.

ما معني ذلك؟ أهي حكاية جيدة أم لا؟ الحقيقة وبدون أن اكذب لا أعرف، لكن عندما حكاها لي طارق استمتعت بها ، وعرفت منها حكايات كثيرة عن آثار جدى الفرعونية وحكاياته القديمة.

لا تتسرع . لنبدأ مع طارق.

كان في الصف الثاني الاعدادي بمدرسة ابن سينا الإعدادية المشتركة ، أي أن عمره وقت وقوع هذه الحكاية كان ثلاثة عشر عاماً وشهورا قليلة.

طارق يهتم كثيراً بغذائه ، كان نحيفاً لكنه لم يكن هزيلاً مثل بقية الأولاد الذين لا يهتمون بطعام أو شراب ويهتمون كثيراً باللعب في كل الأوقات.

طارق مثل غيره يحب قراءة الكتب والمجلات المسلية ، لكنه يحب أكثر قراءة الكتب والمجلات العلمية والخيالية ، يحب القراءة في التاريخ القديم ، يقول أنه تاريخ اجداده العظماء ، ويحب قراءة الخيال العلمي ، لأنه كما قال لي يريد أن يصبح رائد فضاء ، ويكون أول إنسان تطيء قدماه كوكب المريخ ، وإذا لم يتمكن من

تحقيق هذه الأمنية الغالية، يريد أن يصبح عالم آثار ، وخاصة بعدما عاش هذه الحكاية الخيالية.

أما صديقه في هذه الحكاية فاسمه بيبي.

بيبي تلميذ فرعوني يقارب طارق في الإرتفاع ولكنه هزيلاً، عظامه بارزة من تحت جلده الأسمر ، شعر رأسه طويل ، يقول أنه لم يذهب إلي حلاق منذ ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف عام ، لا يتذكر بالتحديد التاريخ الصحيح ، كل ما يتذكره أنه ذهب إلي النوم وقام فوجد روحه في جسده وبين يدي إثنين من الرجال أحدهما صاحب بشرة سمراء ، والآخر بيضاء.

لم يجد أهله وأصحابه حوله ، بقية الحكاية لا أتذكرها ، ولكن طارق يعرف عنها الكثير.

أما صديقه نونو.

الذي لا يعرف طارق هل رآه في الحلم أم في العلم ، كل ما يعرفه عنه أنه أتاه من الشباك وتعرف عليه في ليلة واحدة، وتسبب في إصابته بنزلة برد ، وعاهده أن يذهب معه في أجازته النصف سنوية الدراسية إلي مشاهدة الآثار المصرية القديمة، مما جعل طارق يقدم اقتراحا لمعلمته سعاد ومدير مدرسته الأستاذ رءوف بزيارة بيت جده الفرعوني، وذلك حتي يقابل صاحبه الفضائي نونو مرة ثانية..

عندما قرأ والده هذه الحكايه قال لي : إنه كان يعرف منذ البداية بحكاية زائرالفضاء الذي أتي من الشباك لزيارة ابنه طارق ، وإن كان لا يرغب في تصديق ما حدث ، ولكن إفراط ابنه طارق في قراءة المجلات الخياليه هي السبب فيما حدث له في هذه الحكاية.

أما ما يعرفه عن بيبي لا يزيد عن معرفته بتاريخ مصر الفرعوني من ملوك الأسرة السادسة وذكر لي اسم الملك بيبي الأول والملك بيبي الثاني .. أما بيبي الذي يحكي عنه ابنه طارق فهو لا يعرفه إلا من إبنه طارق فقط.

والأن بعد أن عرفنا القليل جداً عن طارق وصديقيه نونو وبيبي احكي لكم ما حكاه لي طارق.

زائر من الشباك

رأي طارق حلماً عجيباً ، رأي خير اللهم إجعله خير نافذة حجرته المطلة علي الحديقة يفتح مزلاجها.

في البداية شاهد يداً صغيرة بيضاء مثل الثلج، ثم كتف وصدر وجزء من وجه.. كان حتي الأن يشبه العفريت الأبيض .. عندما نظر إلي وجهه كان لا يشبه أحداً من أصحابه في المدرسة أو في النادي أو حتي في الشارع.

لم يغمض طارق عينيه بل جعلهما مفتوحتين علي آخرهما ، بانت معالم الزائر القادم من النافذة فيهما، كان يشبه كثيراً أبطال الحكايات العلمية في مجلات الأطفال المصورة ، يحمل تقاسيم التلاميذ في المستوي الثالث الإعدادي ، لكن أين ملابسه ؟!

كان الضوء القليل القادم من النافذة المفتوحة قد أظهر له ، وجه دائري به عينان تشبهان أزرار القميص وأنف صغير لم يكتمل بعد، وفم ليس به شفاه مثل البني آدميين.. رأي كل هذا و لم تهتز له عيناه.

كان هواء فبراير البارد قد احتل حجرته ، وأصبح في كل مكان .. ظل يقاومه بالغطاء الملتحف به حتي لا يرتعش ، حتي لا يظن القادم من النافذة أنه خائف ، قرأ الفاتحة، وقل أعوذ برب الناس ، وقل أعوذ برب الفلق ، ولم يختف الزائر الذي يشبه العفريت الأبيض.

أراد أن يقرص جسمه حتي يري إن كان في حلم أم في علم فالزائر بشحمه ولحمه واقفاً علي بعد خطوات قليلة منه ، أو هكذا يبدو له .

قرص طارق نفسه فتألم ، كان في علم هكذا تراءي له في الحلم.

– يا !!

ولماذا لا يخاف؟ فجسمه يرتعش سواء كان من البرد أو من هذا الزائر القادم من النافذة ، فهو لا يقدر أن يتحمل هذا المشهد بمفرده فلابد أن يشاركه الآخرون.

ولم يتمكن طارق من الصياح عندما أراد أن يصيح، فصوته انحبس ولم يخرج من فمه.

لماذا لا يصرخ ويلم الأهل والجيران ففي حجرته زائر قادم من الشباك ، قدم بدون إذن أو استئذان.

وعندما جمع شجاعته التي تبعثرت في كل مكان نطق الزائر:

– طارق.

دخل طارق أكثر داخل الغطاء، وبسرعة غطي وجهه حتي لا يراه.

لماذا لا يفعل مثل النعامة التي عند الخطر تدفن رأسها في الرمال

فهو لا يقدر أن يتحمل هذا المشهد بمفرده، وكيف يدفن رأسه تحت الغطاء والزائر مازال واقفاً أمام الفراش، ولا يعرف ماذا هو فاعل به؟! ببطء أخرج رأسه.

خير اللهم اجعله خير الزائر يمد له يده والابتسامة علي وجهه.

أراد طارق أن يسأله:

– عدو أم حبيب؟!

حتي يطمئن له، لكنه لم يسأله.

أخرج طارق ذراعه اليمني من داخل الغطاء، مد يده فطالته يد الزائر التي تمددت وهو واقف في مكانه حتي وصلت إليه فتصافحا.

شد الزائر علي يديه مثلما يفعل الأصدقاء والأحباب ، وبعد المصافحة ووسط دهشة طارق عاد ذراعه إلي حجمه الطبيعي.

أشار بيده علي الفراش ففهم منها أنه يريد الجلوس بجواره ، هز رأسه موافقاً حتي لا يغضبه.

جلس الزائر الغريب بجواره، واعتدل طارق له في نومته فأصبح جالساً.

قال الزائر:

– أتعرفني؟!

هزّ طارق رأسه بالنفي.

قال الزائر:

– ألم ترني من قبل؟!

هزّ طارق رأسه بالإيجاب

قال الزائر:

– أين؟!

سكت طارق ولم ينطق وأشار له بيده عليى المجلات المصورة في مكتبته وعلي مكتبه ، وكان بعضها مازال مفتوحاً.

قال الزائر:

- أنا الخيال العلمي الموجود داخل هذه المجلات.

هزّ طارق رأسه موافقاً علي كلامه وقال كاتماً صوته:

- هذه آخرة من يقرأ المجلات.

أراد أن يخاف فلم يخف ، وعندما لم يخف خرج صوته واضحاً من فمه:

- لقد رسمك أكثر من رسّام.

قال الزائر:

- أنا موجود دائماً داخل الكبار والصغار.

دخلت الطمأنينة إلي قلب طارق وخاصة عندما تكلم معه:

- من الأن ستصبح صاحبي.

- أنا صاحبك من أول يوم قرأت فيه المجلات العلمية.

قال طارق :

- ولكن قل لي لماذا أتيت من النافذة ولم تأت من الباب؟

قال الزائر:

- حتي لا أوقظ النائمين في البيت، فهم لن يفهمونني مثلك أنت.

قال طارق:

- قل لي من أين أتيت؟!

أمسك الزائر بيد طارق التي ارتعشت فجأة وأخذه معه إلي الشبّاك المفتوح.

أشار بيده علي الفضاء الواسع الذي تتلألأ فيه النجوم ، فطالت يده كثيراً حتي خيل لطارق أنه سيلامس النجوم :

- من هذا الفضاء الواسع.

التفت طارق إليه وقال غاضباً:

- اسمع إذا أردت أن تكون صاحبي عليك أن تكون طبيعياً ، فلا تطول يداك أو تقصر ، عقد الزائر مكان حاجبيه غاضباً:

- أنا طبيعي ، فهذه طبيعة جسمي.

قبل أن يتركا الشباك ويعودا إلي داخل الحجرة حاول طارق أن يغلقه ، فمنعه الزائر وقال:

- اتركه مفتوحاً حتي أستطيع أن أغادر الحجرة في أي وقت أشاء.

توجه الزائر إلي مكتب طارق وتفحصه بيده ، وجلس علي مقعده كما يجلس طارق عليه.

نظر إلي النافذة المفتوحة حيث سماء الله الواسعة، وأشار بيده التي لم تطل وقال:

- كنت أراك وأنت جالساً خلف مكتبك.

كان طارق قد جلس علي فراشه في مواجهته، فقام متعجباً من كلامه وهتف:

- تراني!!

أراد الزائر أن يطرد علامات التعجب من كلمات صاحبه طارق:

- من مكاني في بيتنا الموجود في كوكبنا أستطيع أن أراك كما لو كنت علي بعد خطوات مني.

سأله طارق:

- هل نظرك حاد إلي هذه الدرجة؟

هزَّ الزائر رأسه بالنفي ، وقال:
– طبعاً لا ، فقدراتي البصرية محدودة .
سأله طارق:
– إذن كيف تراني وأنت بعيد كل البعد عني؟!
قال الزائر حتي يستريح من تكرار سؤاله:
– بالمجهر
قال طارق:
– بالمجهر؟!!
قال الزائر:
– نعم فعلمنا متقدم عن علمكم بكثير ، فأنتم تضيِّعون وقتكم في الحروب ، أما نحن فلا .
جاءت أصوات العصافير إلي مسامع طارق وصاحبه الزائر القادم من الفضاء البعيد الذي قال منتبها لها:
– لقد حان وقت آذان الفجر عندكم.
اختلطت صوصوة العصافير بصياح ديوك المدينة.
– سوف تطلع الشمس بعد قليل ، يجب أن أغادر كوكبكم.
كان مازال الزائر يتكلم:
– فقط أردت التعرف عليك.
كان يريد طارق أن يبقي معه فقد استراح له ولكلامه:
– انتظر.
كان يستعد الزائر للقفز من الشباك والعودة من حيث أتي.
إلتفت إليه ليستمع إلي كلامه:
– هل ستأتي مرة أخري؟
هزَّ الزائر رأسه وقال:

– في أجازة نصف عامكم الدراسي سأقض يوماً معك .. قل إن شاء الله.
فأنا في شوق لزيارة بيت جدك الفرعوني .
قال طارق وهو يلوح له:
– إن شاء الله، إن شاء الله
دخل الزائر كرة معدنية مالبثت أن اختفت عن ناظريه في فناء الكون الواسع.

الشباك المفتوح

– طارق
انحني عليه وجهان يعرفهما جيداً ، يد تمر من فوق رأسه وشعره، ويد تمسك بيده.
– ما بك؟!
كانا خائفين عليه ، أمه تدثره جيداً كما تفعل كل ليلة ، وأباه ينظر حوله إلي مصباح مكتبه الذي مازال مضاء، والكتب والمجلات المفتوحة و الموضوعة بغير نظام في كل مكان.
قال الأب:
– ما الذي حلَّ عليك؟!
قال طارق من تحت غطاءه:
– ضيف
لم يلتفت إلي كلامه ومعناه بل إنصرف من الغرفة مردداً:
– سأذهب وأحضر الطبيب ، سأذهب وأحضر الطبيب.

قالت الأم:

– من الذى أعاد فتح الشباك ، ألم أغلقه ليلة أمس؟

أشار طارق علي الشباك المفتوح مخرجاً يده اليمني من تحت الغطاء:

– هو

جلست بجواره ، وأمسكت بيده ، وأعادت عليه السؤال:

– لم تقل لي ، من الذي فتح الشباك؟

قال طارق:

– لست أنا

قالت الأم:

– الهواء بارد بالخارج ، وإذا تعرض له الإنسان وهو نائم يصاب بأمراض الشتاء ، برد ، زكام، وإحتقان في اللوزتين.

سأل طارق:

– لماذا لا يصاب هو بكل هذه الأمراض؟!

توقفت الأم عن الكلام وسألته مندهشة:

– من ؟!

قال طارق:

– الذى جاء من الشباك.

سكان السماء

فتح الطبيب عينيه وفمه ، ووضع بداخله مقياس الحرارة الزجاجي ، وجلس مكان أمه وأمسك بيده ناظراً إلي ساعته الرقمية لبعض الوقت..

قالت الأم لأبيه :

– ابنك يصر علي أن هناك كائناً أتي من الخارج وفتح الشباك.

قال الأب وكان لا يحدث طارق :

– وأين هو الأن؟

أمسك الطبيب بمقياس الحرارة ورفعه لأعلي ليقرأه قراءة صحيحة.

قال طارق :

– لقد عاد إلي وطنه ·

وضعت الأم يدها علي جبهة طارق الساخنة وسألت الطبيب:

– خير

قال الطبيب:

– خير إن شاء الله ٤٠ درجة مئوية ·

قال الأب:

– والمطلوب؟

قال الطبيب:

– انزالها في الحال حفاظاً علي الدماغ

قالت الأم:

– ألم أقل أنه يخرف في الكلام من شدة سخونته

هزّ طارق رأسه نافيا كلام أمه:

– لا . لا . أنا لا أخرف

قال الأب ضاحكاً:

– هل هو من سكان الأرض .. أم من سكان السماء؟!

قال طارق :

– من سكان السماء.

قال الأب:

– الجو بارد يا أستاذ طارق ، من يستطيع أن يخرج من كوكبه في هذا الجو.

كان يعرف طارق أن أبيه لا يصدقه ولا أمه أيضاً ، فسكت عن الكلام المباح و إستسلم ليد الطبيب التي وخزته بالحقنة ، وقال مغمضاً عينيه والنوم يحاول أن يغلبه:

– غداً تصدقان ما أقوله ، فأنا والله لا أكذ ...

واستسلم للنوم اللذيذ.

الحمد الله

وأخيراً استيقظ طارق .. كان غارقاً في عرقه ، امتدت الأيدي من جديد ، أيدي حانية ناعمة تربت وتهدأ، وتقول:

– الحمد لله.

كان المساء قد حل وأضيئت المصابيح البيضاء في الخارج.

– كل ·

قدمت أمه له الطعام الساخن الموصوف لمريض مثله.

قال طارق بعدما امتثل لأمر أمه ومد يده ليأكل:

– هل يأكل مثلنا ويشرب ، ويجوع مثلما أنا جائع الأن؟!

انتبهت الأم لكلامه فسألته:

– من الذي يأكل ويشرب ويجوع مثلك ؟!

قال طارق ناظراً إلي الشباك المغلق زجاجه فقط علي فضاء واسع بالنجوم والكواكب يري بعضها ولا يرى غيرها نقاطاً مضاءة:

– كائن الفضاء؟

قالت الأم:

– الذى جاء من الشباك ؟!

ابتسم طارق وسكت ولم يقوى علي الكلام.

حلم وخيال

وقف طارق علي قدميه بعدما إستراح بأمر الطبيب أياماً معدودات بعدد أصابع اليد الواحدة .. كان أول شيء فعله بعدما استرد عافيته أن ذهب إلي الشباك وفتحه.

كانت السماء خالية من السحب السوداء الثقيلة التي بداخلها أمطار الشتاء

– الطقس صحو اليوم.

انتبه طارق للصوت الذي يشبه صوت أبيه ·

– أبي ·

– أراك اليوم والحمد الله وقد استردت عافيتك ·

– الحمد الله ·

جاور الأب ابنه طارق ، وظلّ معه علي فضاء الكون الواسع ·

قال الأب ضاحكاً :

– هل تنتظر أحد ؟!

قال طارق :

– أنا لا .

قال الأب :

– والزائر الذي يأتي من الشباك ؟!

قال طارق :

– كان حلماً وخيالاً جميلاً.

أصوات العصافير المرحة في الحديقة المجاورة للبيت تصل إلي مسامعهما في الطابق الثالث عشر ، فتبعث في نفسيهما البهجة والسرور .

قال أبو طارق :

– أتعرف أن هذا الكون به نجوم لها كواكب تدور حولها في مدارات منتظمة مثل الشمس والأرض وبقية كواكب المجموعة الشمسية .

قال طارق :

– ويمكن أن يكون هناك كوكب يشبه كوكبنا الأرض ، به هواء وماء وحياه ، وإنسان يعيش فوقه مثل إنسان الأرض .

قال أبا طارق :

– حتي الأن هذه النظريات العلمية لم تحسم بعد.

قال طارق :

– ويمكن أن يكون الإنسان الذي يعيش فوق هذا الكوكب متقدم علميا عن الإنسان الذي يعيش فوق كوكب الأرض .

إستغرب أبو طارق من حديث إبنه وذكره بتخاريفه في الأيام السابقة عن الزائر الذي قدم إليه من الفضاء من الشباك ، فقال :

– يمكن

هتف طارق :

– إذن ما رأيته في حلمي حقيقة وليس خيال ؟.

قال الأب :

– ولكن سيبقي ما رأيته مجرد حلم.

قال طارق :

– ولكن الله تعالي قال في سورة الواقعة ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾. وقال في سورة آخرى ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم إنه الحق﴾ .

قال أبو طارق راسما علي وجهه علامة إستفهام كبيرة :

– ماذا تريد أن تقول ؟!

قال طارق رافعا ذراعه لأعلي أمامه :

– إنظر يا أبي هذا الكون الواسع ، أيمكن أن نكون وحدنا الذين نعيش فيه ؟!

نظر الأب مثلما قال إبنه طارق إلي الكون الواسع ، كانت السحب السوداء الثقيلة قد إحتلت سماءه ، ولم تتح له أن ينظر إلي غيرها في هذا الكون الواسع .

قال طارق :

– ماذا تقول يا أبي ؟!

إنتبه أبو طارق لكلام إبنه طارق ، فقال :

– أري أن نغلق الشباك ، فالأمطار علي وشك السقوط ، فقد كذبت نشرة الأرصاد الجوية هذا الصباح ، هيا .

ترك أبو طارق طارق يغلق الشباك الذي أغلق زجاجه فقط . منصرفا من حجرته .. بينما ظل طارق واقفا ملاصقا وجهه لزجاج النافذة التي ينقر زجاجها حبات المطر المتساقطة .

عودة نونو

وأخيرا جاء الصباح .

أبو وأم طارق يساعدانه في جمع لوازم الرحلة داخل حقيبته الجلدية الخضراء.

اللون الأسود بدأ في الزوال تدريجياً من السماء ، طارق كثير الالتفات للشباك المقفول زجاجه فقط.

قالت الأم:

– لا أدري لماذا أنت كثير النظر إلي الشباك ؟

قال الأب:

– اطمئن لم تتأخر بعد.

قال طارق:

– هل لي أن افتح الشباك حتي اتنفس هواء الصباح ؟!

قالت الأم وقال الأب معاً:

– لا ، الهواء بارد بالخارج.

قال طارق:

– الساعة الخامسة صباحاً ولم يأت بعد

قالت الأم :

– هل تنتظر أحدا من أصدقائك.

– نعم.

– لم تقل لنا ذلك من قبل.

– هل لي إذن أن افتح الشباك ؟

– ولما.

– حتي إذا أتي لا يجده مقفولاً.

– وهل صاحبك سيأتي من الشباك ؟ أم من الباب؟

قال طارق بعد قليل:

– من الباب.

قال الأب بشفتين مبتسمتين:

– يبدو أنه ينتظر صاحبه الذي أتي من الشباك من قبل .

قالت الأم:

– حقيقة لو كان ما يقوله ابنك طارق صحيح لانقلبت الدنيا رأساً علي عقب.

ما أن غادرا حجرته حتي جري ناحية الشباك ليفتحه ، لكن صوتهما جاءا من خارج حجرته واضحاً:

– لا تفتح الشباك يا طارق.

امتثل طارق للأمر وترك الشباك مقفولاً ، وجلس علي حافة سريره ليتمم إرتداء ملابسه.

– بسرعة يا طارق ، فالوقت يمر ، فأنت لم تفطر بعد.

أجاب طارق بكلمته المعتادة:

– حاضر .

كانت الأصوات آتية من خلف الشباك ، أصابع تنقر علي زجاجه نقراً خفيفاً، في البداية لم يصدق أذنيه ولا عينيه التي سمعته ورأته واقفا شخصاً حقيقياً ينتظر أن يفتح له الشباك.

حك عينيه ونظر في ساعته ، وسمع صوت والديه يتحدثان ، إنه في علم وليس في حلم.

تردد لحظة ، لكنه وقف علي رجليه وأسرع ناحية الشباك ،

وفتحه وكان فرحاً بلقائه من جديد، أمسك بيديه وصافحه كما يفعل الأصحاب .

– أغلق الشباك يا طارق.

جاء صوت أبيه عالياً ، كأنه يعرف ما يفعله.

أغلق الشباك ، وأحضر له مقعداً ليجلس عليه .. وقال له :

– كنت اعرف أنك ستأتي ، هكذا قلت لي في المرة السابقة ، هل ستأتي معي؟.

صاح الأب.

– هل معك أحد في الحجرة يا طارق؟!

– لا يا أبي ، إني افكر بصوت مسموع.

صاحت الأم.

– الفطور جاهز.

أمسك طارق بيد صاحبه القادم من الشباك.

– تعال افطر معي..

نونو بعد التجميل

لم يترك طارق يده ، في هذه اللحظة كان لا يحثه علي النهوض معه بل كان ينظر إليه، ثم مرة واحدة ترك يده وتراجع للخلف خطوتين ، وقال:

– لا لست أنت الذي اتيت من الشباك في المرة السابقة ، أنت تشبهه.

– إنه .. أنا.

– ولست شخصاً آخر؟

– أنا نونو

– لا أعرف أحداً بهذا الاسم ، فلقد تغير شكلك كثيراً.

– وهل تعرف إسم من حضر لك في المرة السابقة ؟!

– لا فلم نتعارف بالأسماء.

سكت طارق قليلاً ، وقال:

– اسمع هات لي برهان؟

– يمكن لي أن اذكرك بالحوار الذي دار بيننا ألم أقل لك اترك الشباك مفتوحاً حتي استطيع أن اغادر الحجرة في أي وقت أشاء. ألم اقل لك أني أنا الخيال العلمي الموجود داخل المجلات العلمية التي تقرأها.

– كفي .. كفي .. ولكن أين انفك الصغير الذي لم يكتمل بعد ، وعيناك ، نعم عيناك اللتان تشبهان ازرار القميص.

ابتسم الزائر القادم من الفضاء الخارجي وقال:

– لقد خضعت لعمليات تجميل حتي أقترب من شبه إنسان الأرض.

– لماذا ؟ لقد كنت جميلاً عندما كنت علي طبيعتك التي خلقك الله عليها.

– يا طارق.

جاء الصوت هذه المرة من خارج حجرته آمراً غاضباً.

– هل ستأتي معي؟!

تحرك طارق في اتجاه باب حجرته ، وكان مازال يحدث ضيفه:

– وكيف ستأتي؟! سيراك أبي وأمي !! وإذا رآك ماذا أقول

لهما؟! هذا صديقي الذي أتي من الشباك ، أنا لا أفهم شيئاً .. أنا لا ..

كان نونو مازال جالساً علي مقعده الذي أحضره له طارق ، ينظر إلي طارق ويبتسم إبتسامات كثيرة.

وجبة خفيفة

طارق يفتح الباب ، ويصبح خارجه ، كان أبواه ينتظرانه علي المائدة ، في البداية جلس بجوار أبيه وظهره للباب ، لكنه فجأة نظر خلفه إلي الباب المغلق خشية أن يكون تركه مفتوحاً ، فقام وجلس بجوار أمه وأصبح وجهه أمام الباب.

– ما بك يا طارق؟

– ابنك ليس طبيعياً هذا الصباح.

– هيا يا طارق لم يتبق إلا نصف ساعة من الآن ويأتي اتوبيس الرحلات ، أنسيت.

– يا طارق.

تبادل أبو وأم طارق الحديث ، وابنهما ينظر إلي الباب ، ولا يحرك شفتيه بالكلام أو بالطعام والشراب.

– يا طارق.

ينتبه طارق لصوتيهما ، فيمسك بالملعقه وقطعة الخبز ويبدأ في تناول الطعام بسرعة غير مألوفة لديهما.

– لا تأكل بسرعة، فمازال هناك وقت.

– فقط انتبه للطعام وأنت تأكل.

– الحمد الله.

أعدت الأم وجبة خفيفة لطارق.

– حتي إذا جعت أو جاع صاحبك الذي يجلس بجوارك.

– شكراً لك يا أمي ، ولكنهم سيعطوننا طعام كل وجبة في وقتها.

– خذ يا طارق ما أعددته أمك لك من طعام ، فقد يكون صاحبك الذي أتي من الشباك جائع.

توقف طارق عن الحركة والكلام ، وبعد أن بلع ريقه قال:

– هل تعرف يا أبي؟!

قال الأب ضاحكا:

– ماذا أعرف؟! إني امزح معك.

إلي اللقاء

طارق يغلق الباب ويصبح داخل حجرته ، ويأخذ شهيقاً كبيراً.

– ما بك؟!

سأله نونو الذي كان مازال جالساً علي مقعده.

– كنت سأفشي بسرك لأبي.

طارق يتجه ناحية نونو ويمسك بيده:

– هيا قم.

قال نونو:

– إلي أين؟!

يترك يده ويحرك ذراعيه متسائلاً:

– لا أدري ، مـاذا أفـعل بك ؟! إذا خـرجت مـعي سـيـراك أبي وأمي ، قل لي ، أنا فقط الذي اراك أم يراك كل الأخرين.

– يراني كل الآخرين.

– اسمع هل أنت جائع.

– لا

– هل تأكل مثلي وتشرب ؟!

– هذا ليس وقته.

قـام نونو من مكانه واتجـه إلي الشبـاك يفـتحه ، لحق به طارق وامسك به:

– هل غضبت مني ؟ هل سترحل ؟

قال نونو:

– لا . ولكن الساعة الآن تقترب من السادسة صباحاً، وجاء وقت الرحيل.

– والرحلة ؟!!! و الآثار الفرعونية التي كنت تريد أن تراها ؟!

قال نونو بعد ما فتح الشباك وأصبح خارجه:

– لقـد أعـدوا لي كل شئ لا تقلق، القـاك في الأتوبيس، فإني أراه واقفاً أمام المبني، السائق رمضان يمارس عادته غير المحموده في التزمير.

المفاجأة

– غريبة جداً

كان نونو يجلس داخل الأتوبيس مثله مثل التلاميذ ، وقف ولم يكمل صعوده .. ناداه نونو :

– تعال يا طارق لقد تركت لك مكاناً بجواري

سأله الأستاذ رءوف :

– أنتما أصحاب ؟!

هزَّ طارق رأسه ، وتحرك في إتجاه مقعده بجوار نونو .

– كيف جئت إلي هنا ؟!

– ألم أقل لك لقد أعدّوا لي كل شيء

– لا أفهم

– هيا يا أسطي رمضان

قال نونو .

التفت السائق رمضان لنونو ، وقال :

– حاضر يا أستاذ نونو

قال طارق مندهشاً لنفسه ولمن حوله من التلاميذ :

– والله العظيم ما أنا فاهم

وكان بقية التلاميذ لايفهمون مالايفهمه طارق .

– إلي أين ؟

سأل السائق رمضان الأستاذ رءوف :

– إلي ضاحية مصر الجديدة ، فالأستاذة سعاد في إنتظارنا

أخرج نونو رأسه من الشباك وقال محدثاً طارق :

– بيوتكم كثيرة وكبيرة

سأله طارق وكان ينظر معه :

– وبيوتكم ؟

– نحن لانبني بيوتنا علي سطح الكوكب الذي نعيش فوقه .

– باق أن تقول لي أنكم تبنون بيوتكم في الفضاء

– نعم

– ولماذا ؟

– لاتصرخ هكذا حتي لايسمعنا أحد ، حتي نقوم بزراعتها.

الزميل الجديد

ما هي إلا أوقات قليلة حتي وقف السائق رمضان ليفتح باب أتوبيسه الأمامي للأستاذة سعاد .

– صباح الخير .

وقفت المعلمة سعاد عند آخر سلم الصعود لتسمع صوت التلاميذ وهم يرددون بصوت واحد جهوري تحيتها الصباحية :

– صباح الخير يا ماما سعاد .

قالت :

– اسمعونى جيدا أريدكم أن تتعرفوا على زميلكم الجديد، أين هو؟!

بحثت بعينيها بين مقاعد التلاميذ عن زميلهم الجديد •

وقف نونو وقال :

– ها أناذا •

قالت المعلمة مبتسمة :

– معذرة .. لم أرك من أول نظرة ، فإنكم تشبهون بعضكم كثيراً ، ولكن قل لي لماذا إخترت مكان جلوسك بجوار طارق ، أتعرفه من قبل ؟!

قال نونو :

– نعم . إنه صديقي •

قال طارق :

– نعم إنه صديقي منذ أن أتي لزيارتي من الشباك

ضحك التلاميذ ضحكات متفرقة ، مالبثت أن إختفت تحت صوت المعلمة الذي بدأ يعلو فوق أصواتهم :

– اجلس يانونو .. وأنت يا طارق أرجو ألا تكون قد تسببت في حرج لزميلك نونو .. تصافحا وإعتذر له .

تصافحا .. قال نونو :

– لا أعرف لماذا أنت غاضب منذ أن وجدتني داخل الأتوبيس ، والجميع يعاملونني علي أنني زميلهم الجديد ؟!

قال طارق هامساً :

– لاتغضب مني ، إني أخاف عليك كثيراً ، لذا أردت أن أجعل كل شيء طبيعي ، وقد أكون أسأت التعبير •

– لاعليك

ضحكا معا

قالت المعلمة :

– هكذا يكون الأصدقاء .

ثم سكتت برهة وقالت :

– نونو يا أبنائي زميلكم الجديد من مدرسة طه حسين الإعدادية بأسوان ، وقد أعجبته فكرة الرحلة ، وطلب المشاركة فيها رحبوا به.

أمسك السائق رمضان بهاتف الإذاعة الداخلية للأتوبيس وقال :

– أهلاً ومرحباً بك معنا ياأستاذ نونو

وقام التلاميذ والتلميذات لتحيته •

قال طارق فرحاً :

– الأن بدأت أفهم

قال نونو بعدما إنفض التلاميذ والتلميذات من حوله :

– أأقول لك كيف تم الإعداد لهذه الرحلة ؟

قال طارق :

– لا .. أقول لك أنا

نظر السائق رمضان في مرآة السيارة التي يري بها كل ركاب الأتوبيس من التلاميذ وقال :

– ما بكم ما أسكت الله لكم صوتاً

وبدأ التلاميذ في الطبل والزمر والغناء المباح .

رعمسيس

بيب .. بيب

كان السائق رمضان يفسح لأتوبيسه طريقاً وسط العربات ، وكان كثيرا ما يلقي تحية الصباح إلي بقية السائقين في العربات المختلفة ٠

أطل برأسه من النافذة المجاورة له ، ثم نظر إلي الأستاذ رءوف الذي يجلس علي أول مقعد :

– هذا الصباح جميل ٠

سأله الأستاذ رءوف مقرباً صوته منه :

– لماذا هو جميل ؟!

قال السائق رمضان ضاحكاً :

– لأنك معنا يا أستاذ رءوف.

ثم سكت ونظر مرة أخري تجاه الأستاذ رءوف .. وقال :

– مارأيك في رمسيس ؟ ٠

– رمسيس من ؟!

قال السائق رمضان موضحاً حروف الإسم الذي نطق به :

– ر. م. س. ى. س

قال الأستاذ رءوف :

– رعمسيس من ؟! إنهم إحدي عشر رعمسيساً

حك السائق رمضان شعر رأسه مفكراً ، وأبطأ من سرعة أتوبيسه الذي إقترب كثيراً من ميدان رمسيس .

قال السائق رمضان مندهشاً :

– إحدي عشر رعمسيس وليس رمسيساً واحداً !!!

– نعم .. قل لي كم مواطن مصري يحمل إسم رمضان ٠

قال السائق رمضان :

– كثيرون .. ولكن هناك سائقاً واحداً إسمه رمضان ٠

قال الأستاذ رءوف :

– وإذا كان هناك سائقان ٠

سكت قليلاً وقال :

– يكون هناك رمضان الأول وهو أنا ورمضان الثاني وهو السائق الثاني

قال الأستاذ رءوف :

– إذن تريد السؤال عن من الرعامسه

أشار بيده اليمني علي التمثال الكبير الواقف في وسط الميدان ، والذي بدأ واضحاً للناظرين من التلاميذ :

– رمسيس هذا

سأل الأستاذ رءوف التلاميذ :

– من الذي أجد الإجابة عنده ؟

قال التلاميذ جميعهم في وقت واحد :

– أنا يا أستاذ . أنا يا أستاذ

إختار الأستاذ رءوف التلميذة نانسي للإجابة .. فقالت :

– رعمسيس الثاني.

رمسيس

قال لويس الذي يهوي الشعر ويحب تأليفه :

– ما رأيكم في قصيدة تمجد هذا التمثال الرائع الذي صنعه المصريون القدماء وذلك عندما أتو به من ميت رهينه بمحافظة الجيزة .

وقف لويس وإعتدل في وقفته وقال :

– اسمعوا :

من وراء القــــرون والأجيـــال
عاد لكن في صورة التمثـــــال
عاد يزهو في موكب من فخار
صامت القول ناطق الأفعــــال
عاد يمشي في شعبه مشية الأمـ
ـس رهيب الخطي فسيح المجال
فارع الطول شامخ الأنف يبدو
رائع الفن ، عبقري الجمـــال

باعث الفن والحياة بوادي الـــذ
ـيل بين المصـــــب والشـــلال
فهو رمـــــز لشـــعب أبـــــي
بين أقـــــرانــــه ، عزيز المنــال

صفق التلاميذ للويس .. وقال نونو :

– إنت تكتب شعراً جميلاً يا لويس .

قال لويس :

– لا لست أنا . إنها قصيدة قرأتها لشاعر اسمه عامر بحيري كتبها عام ١٩٥٥ في جريدة الأهرام .

قال الأستاذ رءوف :

– هناك شاعر أيضا في هذه الفترة نشر قصيدة له في كتاب الهلال إسمه محمود عماد قال :

رمســــيس ، يا ســـــــليل رع
سل رع يقي مصـــير الخطـــر
مـــا زال في الشرق لنـــــا
خصم كخصمك إنتظـــــر
ياليتنــــــا في قــــادش
أخري لقيناه ففـــــــــر

كان الأتوبيس وتلاميذه قد تركوا رمسيس خلفهم واقفاً في مكانه لايتحرك ، ينظر إليهم وكأنه يبتسم حتي خيل لنونو الذي نظر خلفه وطارق أنه يهز رأسه شاكراً لهم حسن شعرهم وما قالوه في حقه .

قال نونو :

– إنظروا !!!

هتفت نها :

– شيء لايمكن تصديقه !!!

كانت رءوس التلاميذ تتراص بجوار بعضها ، متزاحمة خلف زجاج الأتوبيس الخلفي ، تري رمسيس الواقف وحده في الميدان يرفع لهم يده اليمني ويحيهم كما يفعل الأصحاب عند الوداع •

وفي وقت واحد كانت أذرع التلاميذ مرفوعة في تحية واجبة لهذا البطل العظيم.

الجد الأول

خفض السائق رمضان صوت المذياع ، ونظر جانبه نظرة سريعة إلي الأستاذ رءوف الذي كان يجلس بالقرب من الباب :

– نبدأ ببيت من ؟

وقف الأستاذ رءوف ونادي علي طارق :

– قلت يا طارق نبدأ ببيت من من أجدادك ؟!

وقف طارق وقال :

– إنهم كثيرون حولنا •

قال نونو :

– الملك عحا •

قال السائق رمضان :

– إذن نذهب إلي سقارة •

قال نونو :

– كان الملك عحا الملك الثاني من ملوك الفراعنة الذي أتي إلي حكم مصر العليا والسفلي بعد الملك نارمر (مينا)

قالت المعلمة سعاد :

– أتعرفون يا أولاد السبب الذي جعل جدودنا يبنون كل هذه البيوت ؟!

ارتفعت في الهواء الأيادي والأكف الصغيرة وغني الأولاد والبنات أغنية واحدة:

– أنا . أنا . أنا

قال الأستاذ رءوف :

– يبدو أن جميعهم يعرفون.

ولاطف السائق رمضان وأكمل كلامه :

– إلا الأستاذ رمضان

قال السائق رمضان وكان يبتسم للجميع في المرآة التي يري بها كل التلاميذ :

– الحياة الأخرة •

صاح التلاميذ بصوت واحد :

– صح •

قالت ريهام :

– لقد كان الفراعنة يؤمنون بأن هناك حياة بعد الموت ، وأنه سوف يأتي يوم ويعودون إلي الحياة مرة ثانية.

كانت ريهام تخاطب جموع التلاميذ التي أنصتت بإهتمام لما تقوله :

– لذلك اهتموا بقبورهم ولم يهتموا ببيوتهم ، وإعتبروا أن قبورهم هي بيوتهم الأبدية ، فكانت الحجرات الواسعة ، والمباني القوية التي لاتستطيع عوامل الزمن أن تتلفها أو تهدمها.

صفق التلاميذ لريهام كما صفق الأستاذ رءوف والمعلمة سعاد.

الخارطـة

أخرج سعيد خارطة لمصر الفرعونية كان يحتفظ بها مكتوب عليها أسماء المدن القديمة ..

سأله عزيز :

– قل لنا يا سعيد أين تقع سقارة ؟!

نظر سعيد في الخارطة ، ونظر معه آخرون .. وبعد التفتيش عن موقع سقارة في الخارطة .. قال سعيد :

– هاهي سقارة يحدها من الشمال ميت رهينة ومن الجنوب دهشور ، وتقع علي البر الغربي من نهر النيل ٠

قال السائق رمضان :

– هل لي أن أضيف معلومة ؟

قال التلاميذ بصوت واحد :

– قل . قل يا عم رمضان :

– كان الدافع الذي دفع المصري القديم علي أن يبذل هذا المجهود الضخم في بناء قبره ، هو إعتقاده بأن الوصول إلي الحياة التي يتمناها في العالم الأخر يتوقف علي الحفاظ علي جسده سليماً ، حتي إذا جاءت الروح إليه بعد الموت تجده ، وثانيا ضرورة وجود ما يحتاجه في حياته الجديدة من مأكل وخدم يقومون علي خدمته.

قال طارق :

– فماذا كان يفعل ؟!

لم يعط عزيز فرصة للسائق رمضان أن يكمل حديثه ، فقال :

– اخترع التحنيط ، وفكر في أنه قد يأتي يوما وتضيع جثته ، وحتي تجد روحه جسده صنع التماثيل التي تشبهه تمام الشبه ، حتي إذا أتت روحه ولم تجد جثته تذهب إلي التمثال الذي يشبهه وتدب الروح فيه ، وفكر أيضاً في أن الروح قد لا تتعرف علي شكله عندما تأتي ، لذا كتب اسمه علي التمثال ، ولامانع من أن يكون هناك أكثر من تمثال يشبهه .

صاحت ريهام :

– إذن لو لم يكونوا يؤمنون بالحياة الأخري .. ماذا كان سيحدث ؟!

قال الأستاذ رءوف :

– لكانوا بنوا مقابرهم من مواد رديئة ، وما عاشت تلك المقابر حتي الأن.

الرجلان

كان الأتوبيس قد إقترب من مكان الوصول.

كان هناك رجلان يقفان علي قارعة الطريق ، يلوحان للسائق وللتلاميذ :

– إنتظر . إنتظر

كان صوتهما عالياً فيه رجاء ، رق قلب السائق رمضان لهما ووقف ، فتح باب الأتوبيس الأمامي .. وما أن طلعا حتي قال :

– معذرة فأنا لا أنقل غرباء في سيارتي ٠

قال أحدهما وكان ذو بشرة بيضاء ويرتدي قميصا وبنطال :

– إننا لانريد الركوب ، فقط أردنا أن نسألك سؤالاً وننزل.

وقال الأخر وكان ذو بشرة سمراء ويرتدي الملابس البدوية ، يقف وراءه ، وينظر لجميع التلاميذ :

– السلام عليكم.

ولم يبعد وجهه عن وجوههم.

قال ذو البشرة البيضاء ،وكان هو الأخر ينظر في وجوههم بإمعان :

– هل رأيتم صبيا يشبه تلاميذ المدارس الفرعونية في مثل عمركم ؟

ضحك التلاميذ وتصايحوا ، وضحك معهم الرجل صاحب البشرة البيضاء وإعتذر، ونزل وتحرك الأتوبيس، وكان التلاميذ مازالوا يضحكون مع السائق رمضان.

– وصلنا

من النوافذ أخرج التلاميذ رءوسهم ، خارج الأتوبيس كان شرطي ومجموعة من الرجال وسيدة في إنتظارهم.

السيدة نادين والملك عحا

نزلوا واحدا واحدا .

قالت السيدة وكانت ترتدي زياً بلون واحد :

– مرحباً بكم عند بيت الملك عحا .

وهكذا قال الشرطي الذي صافحهم ، وبقية الرجال .

التف التلاميذ حول السيدة التي قالت :

– أنا اسمي نادين أعمل في شركة السياحة التي نظَّمت لكم هذه الرحلة .. والأن هل لي أن أتعرف عليكم ؟.

كانوا يقفون صفوفا للمصافحة ، وكانت تقول لكل واحد منهم علي حده عندما تتعرف عليه :

– أهلا ومرحباً بك عند بيت جدك عحا .

كان بيت عحا مصطبة .

قال الأستاذ رءوف :

– كلمة مصطبة كلمة عربية ، ومعناها مقعد طويل.

وقالت السيدة نادين:

– وسميت كذلك لأنها حينما تغمر بالرمل إلي ما يقرب من أعلاها ، تشبه المقعد الواطيء المبني خارج بعض البيوت المصرية ، والذي يجلس عليه صاحب الدار مع أصدقائه ليشربوا القهوة.

كانوا جميعهم يقفون أمام مصطبة الملك عحا ، الملك الثاني لمصر العليا والسفلي.

قالت السيدة نادين :

– فلنتجول في بيت الملك عحا الذي يتكون من حفرة مستطيلة قليلة العمق سقفت من الخشب ، وقسمت إلي خمسة أقسام منفصلة بحوائط فاصلة.

قال نونو:

– فلتأذن لي السيدة نادين ولتقل لنا أين وضعوا الملك عحا ؟

قالت السيدة نادين:

– في القسم الأوسط ، بينما وضعت بعض أدواته الخاصة في الحجرات المحيطة بذلك القسم ، وكان يعلو هذه الحجرات بناء من الطوب اللبن قسم داخله إلي سبع وعشرين حجرة صغيرة ، خصصت لخزن أواني الشراب وصحاف الطعام وأدوات الصيد ،

وحاجيات الحياة الأخري ، وبنيت الأوجه الخارجية لجدران هذا البناء بميل إلي الداخل من أسفل إلي أعلي.

قال طارق :

– ولكن أين السقف ؟!

قالت السيدة نادين :

– علينا أن نتخيله لأنه لم يعثر حتي الأن علي مصطبة من هذا العصر ، لها سقف محفوظ في مكانه ، ويحيط بهذا البناء سوران خارجيان يتصل بينهما طريق مرصوف بالطين ، وكان المكان بين السور الداخلي والواجهه الشرقية للمصطبة مكان لتقديم القرابين ، حيث يستطيع الأقارب أن يضعوا عليه ما يحضرونه من الأطعمة الطازجة لصاحب المقبرة ، كما لطسوا البناء العلوي والأسوار الخارجية من الجير كانت بعض أجزائها مزينة برسوم ملونة.

ثم قالت للتلاميذ:

– يمكنكم الأن أن تتجولوا في المكان ، ولكن.

إنتبه التلاميذ للسيدة نادين عندما وقفت عن الكلام واستخدمت حرف لكن ..

قال طارق :

– الأن ستتلو علينا السيدة نادين قائمة الممنوعات.

قالت السيدة نادين:

– أنتم تعرفون أنه ممنوع علينا لمس الآثار أو الكتابة عليها أو نزع أو خلع أو أخذ شيئاً منها .

قالت المعلمة سعاد وكانت تقف بجوارها :

– خمس دقائق ، وتعودون إلي الأتوبيس ، ولا تبتعدوا كثيراً عن هنا حتي نستطيع أن نلحق بجدكم زوسر قبل أن يذهب للنوم.

الجد زوسر وهرمه

مرة ثانية وقف السائق رمضان باتوبيسه .. كان المكان مرتفعاً قليلاً..

قالت المعلمة وهي تنظر إلي السماء:

– الحمد الله الجو معتدل اليوم.

كانت السيده نادين أول النازلين من الأتوبيس وخلفها كان التلاميذ.. سأل عزيز صاحبه سعيد :

– قل لنا أين نحن الأن؟

قال سعيد :

– علي ما اعتقد أننا مازلنا في سقارة.

قالت السيده نادين :

– نحن لم نبتعد كثيراً عن مصطبة الملك عحا ، وإن كنا قد اقتربنا من مدينة منف.

كان أمامهم هرم مدرج.

هتف التلميذ عندما رأوه:

– جدنا زوسر.

قالت السيدة نادين :

– هذا الهرم بداية لاستخدام الأحجار الجيرية بدلاً من الطوب اللبن في البناء.

قالت ريهام :

– أتوا بهذه الأحجار من محاجر طرة.

قالت السيدة نادين :

- أحجار طرة التي اتوابها كسوا السطح الخارجي بها فقط أمام قلب المباني نفسها فكان مكسوا من أحجار المنطقة.

قال طارق :

- لقد قرأت كثيراً عن هذا الهرم ، فمهندسه المعماري كان اسمه أيمحوتب..

قال نونو:

- كل ما اتذكره عن هذا الهرم أنه عندما تم بناؤه ، كان عبارة عن كتلة من البناء ترتفع في ست طبقات غير متساوية في الحجم إلي علو ٢٠٤ اقدام ، وكان طول قاعدته ٤١١ قدما من الشرق إلي الغرب ، ٣٥٨ قدماً من الشمال إلي الجنوب.

قالت ريهام :

- ولكن أين توجد الحجرات الداخلية ؟

قالت السيده نادين :

- يتكون البناء السفلي للهرم المدرج من بئر عميق يفضي إلي عدد كبير من الممرات والحجرات .. في البداية حفر بئراً مساحتها ٢٣ قدماً مربعاً ، وتصل الي عمق ٢٨ قدما تحت سطح الأرض ، ثم حفروا نفقاً مسافته ٧٠ قدماً ثم عادوا وحفروا البئر إلي عمق ٩٢ قدماً ، وترتب علي تعميق البئر أن انخفضت الأرضية حتي أصبحت منزلقاً ينحدر تدريجياً.

قلم ريهام البطئ

أوقفت ريهام الشرح والتفصيل من السيدة نادين ، وقالت :

- معذرة يا أستاذة نادين ، ابطئي قليلاً في الشرح والتفصيل ،

حتي يستطيع قلمي أن يكتب ، فهو قلم غير سريع .

ابتسمت السيدة نادين .. وأكملت الشرح والتفصيل :

- في طرفها الشمالي ثقبوا فتحة في أحد أحجار السقف لينزلوا منها الجثة عند الدفن ، وبعد أن يضعوا الجثة في الحفرة يسدُّوا هذه الفتحة بسدده من حجر الجرانيت ، وفوق حجرة الدفن هذه كانت توجد حجرة يصلون إليها من المنزلق بواسطة باب وضعوا فيها السدادة الجرانيتيه حتي جاء وقت وضعها في مكانها.

قال نونو :

- هل يمكن لنا أن ننزل ونري هذه الحجرة

ضحكت السيده نادين وقالت :

- لم يبق لهذه الغرفه من أثر الأن.

أحجار صغيرة الحجم

قال طارق للسيدة نادين وهو ينظر إلي الأحجار:

- أري أن هناك أحجارا صغيرة الحجم قد استخدمت في البناء.

قال الأستاذ رءوف وكان يقف بجوارهما :

- طبقاً لمعلوماتي البسيطة عن هذا الهرم أن البنائين كانت تنقصهم الخبرة في استخدام الحجر للبناء ، فاستخدموا مثلاً أحجاراً صغيرة الحجم يسهل نقلها بدلا من الأحجار الضخمة.

قالت الأستاذه سعاد:

- هذا يدل علي أن المصريين لم يتقنوا صناعة قطع ونقل الأحجار الثقيلة اتقاناً تاماً حتي ذلك العهد.

قالت السيده نادين :

– تعالوا بنا نشاهد بهو الأعمدة.

تحرك التلاميذ مع السيده نادين، كان بهو الأعمده عبارة عن ممر طويل ضيق يتجه نحو الغرب وعلي جانبيه مجموعة من الفجوات التي تبرز علي كلا الجانبين والتي تأخذ شكل الجدران وعددها أربعون باعمدة متصلة مضلعة.

كان نونو ينظر إلي الأضلاع ويعدها، فكانت مرة سبعة عشر ضلعاً ومرة أخرى تسعة عشر ضلعاً فاندهش.

اقترب رجل من نونو وقال بصوت منخفض :

– أنت لم تخطئ في العد، فهناك أعمدة عدد اضلاعها سبعة عشر وأخري تسعة عشر.

التفت اليه نونو كان الرجل صاحب بشرة بيضاء.

ابتسم الرجل في وجهه .. وقال :

– مرحباً .. قل لي ألم ترصبياً في مثل عمرك يرتدي جلباباً ابيض.

سأله نونو وكان صوته مرتفعاً.

– التلميذ الفرعوني؟

هزّ الرجل رأسه هزات سريعه يحثه بها علي الكلام :

– نعم . نعم .

قال نونو:

– لا . لم أره .

من أمام باب السيارة جاء صوت الأستاذ رءوف عاليا سمعه الجميع :

– حان وقت الركوب، حان وقت الرحيل من عند جدكم زوسر، اتركوه ينام في هدوء ولا توقظوه.

طائر العنقاء

كانت الشمس تتوسط السماء وحولها تحوم سحابات بيضاء وسوداء، كانت السيدة نادين تنظر اليها من الزجاج الأمامي للأتوبيس وتقول بصوت خفيض ومسموع :

– لو استمر الجو علي هذا الحال لأمكننا زيارة أجدادنا الذين دفنوا في الأهرامات .

قال طارق للأستاذ رءوف، وكان قد جلس بجواره بعدما ترك مكانه لزميله سعيد الذي كان يذاكر الخارطة مع نونو :

– لماذا كانت فكرة الهرم هي المسيطرة علي شكل البناء؟

قال الأستاذ رءوف :

– في العهد القديم – كما هو معروف – كانوا يعبدون الشمس أو بمعني اصح إله الشمس، والذي كان يأخذ شكل طائر العنقاء، وهو واقف فوق حجر هرمي .. وفي البداية كانوا يعبدونه في معبد يقع بالقرب من شمال مدينة منف التي نقترب من شمالها الآن وقالوا أن إله الشمس اظهر نفسه وهو واقف علي هذا الهرم من هنا جاءت فكرة البناء علي شكل هرمي .

فتح السائق رمضان المذياع، وحرك مؤشره كثيراً، وكان يسكت الأغاني والبرامج التي لا يحبها، وعندما سمع صوت الآذان اوقف تحريك المؤشر وترك المؤذن يؤذن .

قالت السيده نادين وكانت لا تتحدث لأحد :

– الوقت يمر بسرعه فنهار الشتاء قصير.

كانت أصوات محرك الأتوبيس مسموعة علي غير العادة،

وكانت أصوات السائق رمضان غير مفهومة ، وقف الأتوبيس ولم يتحرك ، رغم محاولات السائق رمضان في استخدام يديه وقدميه..

قال الأستاذ رءوف :

– بهدوء سننزل من الأتوبيس ونتجول بالقرب منه ولا نبتعد حتي ينتهي السائق رمضان من إصلاح الأتوبيس .

الطيب والشرير

كان طارق ونونو آخر النازلين من الأتوبيس ، وكان نونو كثير النظر إلي السماء.

قال طارق :

– ما بك؟

قال نونو :

– لقد اشتقت كثيراً إلي بلادي.

قال طارق :

– اعتقد أنك اذا أردت أن تعود الأن قبل الميعاد المتفق عليه للعودة، لن تعرف؟

قال نونو:

– طبعاً، في نفس الوقت الذي أرغب فيه الإستمرار معك، في مشاهدة الآثار ، ارغب في العودة لأهلي ، أليست هذه طبيعة الانسان سواء كان يعيش هنا علي كوكب الأرض أو يعيش هناك علي كوكبنا.

قال طارق ونونو وكانا قد ابتعدا قليلاً عن بقية التلاميذ :

– اتعرف يانونو كنت اعتقد في البداية أن إنسان الفضاء الخارجي شرير ، لا قلب له .

قال نونو :

– من قال لك، إننا كلنا طيبون ، فكما عندكم الطيب والشرير عندنا الطيب والشرير.

– يا طارق. يا نونو .

كان سعيد ينادي عليهما ، وكان السائق رمضان يحاول اصلاح الأتوبيس ومعه عدد من التلاميذ لم يتركوه بمفرده.

جاء صوت سعيد وكان يمشي خلف السيدة نادين والأستاذ رءوف والمعلمة سعاد بعيداً عن السائق رمضان :

– إننا ذاهبون لرؤية الهرم الكذاب، هل ستأتيان معنا أم ستبقيان.

قال طارق رافعا ذراعه في الهواء موضحاً كلامه :

– سنلحق بكم.

آمويني

– آمويني

جاء صوت ضعيف أثناء تجوالهما في المكان •

توقف طارق وانتبه •

– آمويني •

عاد الصوت إلي أذنه مرة آخري •

كان نونو قد تقدم عنه خطوة ، إلتفت إليه :

– لماذا توقفت ؟!

– خيّل لي أني سمعت صوتاً !!

– يبدو لي أن خيالك واسع •

– فقط لاتتكلم .. وإعط لأذنك وقتا لتسمع •

انصت نونو مثلما انصت طارق ٠

– آموني .. آمون

قال طارق لنونو بصوت هامس :

– هل سمعت ماسمعت ؟!

قال نونو :

– هناك صوت قادم من تحت الأرض ٠

بحث طارق تحت قدميه ولّما لم يجد مصدراً للصوت تراجع قليلاً للوراء .

قال نونو :

– إنظر ياطارق هناك حفرة بالقرب من قدميك ، إحذر حتي لا تقع فيها .

قعد طارق ونونو بجوار الحفرة ، ولّما لم يسمعا صوتا ، أدخل طارق رأسه ، وصاح :

– هل يوجد بشر داخل هذه الحفرة ، إذا كنت تسمعني أصرخ.

أخرج رأسه وجلس القرفصاء .

قال طارق بعدما إستراح قليلاً :

– يبدو أن الصوت كان مجرد تخيل ٠

قال نونو :

– لا . هناك صوت فعلاً قادم من هذه الحفرة ، فقط إنصت !!

أنصت طارق ٠

– آموني .. آمون

كان الصوت ضعيفاً جداً ٠

قام طارق وأمسك بيد نونو ، محاولاً الإبتعاد عن الحفرة ، لكن

نونو ظل واقفاً

– ما بك ؟!

– هذا ليس بصوت آدمي ، إنه يشبه صوت ذئب يبدو أنه وقع في هذه الحفرة منذ أيام عدة .

قال نونو :

– أتعرف معني كلمة آموني ؟!

قال طارق :

– بأية لغة هذه ، الإنجليزية أم الفرنسية أم اليابانية .

قال نونو :

– كفي . كفي . يبدو أنك تعرف كل هذه اللغات .

قال طارق :

– لا . الإنجليزية فقط وإن كنت أحب الشعب الفرنسي .

قال نونو :

– إنه يتحدث باللغة الهيروغليفية ٠

قال طارق :

– ذئب يتحدث باللغة الهيروغليفية ، يبدو أنه ذئب من ذئاب قدماء المصريين .

– آموني ٠

جاء الصوت هذه المرة عالياً ومسموع لطارق ولنونو بوضوح

قال نونو :

– أسمعت ماسمعته أليس هذا صوت آدمي يشبه صوتك ٠

هزّ طارق رأسه موافقاً علي كلامه وقال :

– لكن ماذا يقصد من كلمة آموني ؟!

قال نونو :

– إنه يقول بِاللغة المصرية القديمة تعال إليَّ ، ولما لم يجد إستجابة من أحد قال :

– تعال إلي يا آمون.

قال طارق :

نعم إني أعرف آمون ، إذن هو ينادي الإله آمون كان المصريون القدماء يعتقدون إنه خلق هذا العالم .

قال نونو :

– نعم . نعم ، وقد كان يأخذ هيئة الشمس.

قال طارق :

– إذن هيا نذهب إليه .

أمسك نونو بملابس طارق الذي إنحني بكل جسمه علي الحفرة .

– إلي أين يا طارق ؟!

قال طارق :

– إني داخل إلي هذه الحفرة لأنقذه .

قال نونو :

– كيف ؟! والحفرة ضيقة .

– ما هذا ؟!

قال نونو :

– مابك ياطارق ، أرأيت شيئاً !!

– نعم . إنظر معي تحت يدي اليسري !!

نظر نونو تحت يده اليسري فوجد فأساً ، ازاحا عنه الرمال حتي ظهر فأساً حقيقياً

قال نونو :

– يبدو أن أحداً كان ينقب هنا عن الآثار .

قال طارق :

– ولماذا ترك فأسه وراءه ولم يأخذه معه ؟! يبدو أنه من لصوص الآثار .

قال نونو :

– مارأيك نرجع إلي الأستاذ رءوف والمعلمة سعاد وبقية التلاميذ ونخبرهم بهذا الإكتشاف الجديد .

طارق مكتشف آثار

قال طارق :

– ويأخذ غيري هذا الإكتشاف وينسبه إلي نفسه ويدخل التاريخ وأخرج أنا منه .

قال نونو :

– ماذا تريد أن تفعل ؟!

قال طارق :

– بهذا الفأس سأقوم بالحفريات في هذه المنطقة .

قال نونو :

– هذا خطأ ، فأنت لست متخصصاً ولم تتلق تدريباً علي هذه الحفريات .

قال طارق :

– إذن ماذا كانت تفعل هذه الفأس هنا ؟!

قال نونو :

– لا أدري ، ولكن قد تكون هذه الفأس إحدى الأدوات المنسية للذين يقومون بهذه الحفريات .

قال طارق :

– وقد تكون للصوص الآثار •

قال نونو :

– إذا استخدمتها تصبح مثل اللصوص لأنك لاتعمل تحت ..

توقف نونو عن الكلام فجأة عندما خرج الصوت واليد الصغيرة من الحفرة :

– أمويني •

قال نونو :

– مد يدك يا طارق وإجذبه !!

قال طارق :

– مد يدك أنت .. اسمع أقول لك من الأفضل كما قلت نذهب إلي الأستاذ رءوف والمعلمة سعاد ، يبدو والله أعلم أنني في حلم وليس في علم •

ترك طارق نونو وإبتعد قليلاً ثم أسرع في المشي فجأة ، وخلفه نونو :

– يا طارق أتتركني !!

– أنا خائف !!•

مومياء فرعونية

جاءهما الصوت مرة أخري إلي مكانهما البعيد عن الحفرة :

– واوا

أمسك نونو بيد طارق وجذبه راجعاً إلي الحفرة التي يصدر منها الصوت :

– تعال يا طارق الرجل يتألم داخل الحفرة •

عادا ثانية ، أمسك نونو بذراع الرجل ، بينما أخذ طارق يبعد الرمال عنه ويوسع له الحفرة بيده وبالفأس •

ذراعان رفيعان ورأس صغيرة ما أن ظهر من الحفرة حتي قال :

– أميمو .

سأل طارق صاحبه نونو :

– ماذا يقول ؟!

قال نونو :

– يقول أشرب ماء .

فتح طارق زمزميته ، وقرّبها من فمه ، رآه بوضوح صبي في مثل عمره ، يشبه أصحابه من التلاميذ وإن مال كثيراً إلي السمرة الداكنة ، شرب ما إستطاع أن يشربه ، وتنفس بوضوح .

أخرجاه من الحفرة ، وأزالا عنه التراب ، حاولا إيقافه علي رجليه ، لكنه لم يستطيع ، قال نونو :

– اتركه ينام علي الأرض .

ساعداه في النوم علي الأرض ، وجلسا بجواره يتأملانه •

قال طارق :

– ماذا نحن بفاعلين به ؟

قال نونو :

– لا أعرف ، إنه ينطق بألفاظ مصرية قديمة •

قال طارق مدققا النظر إلي وجهه :

– تقصد إنه مومياء فرعونية •

قال نونو :

– نعم . ولكن كيف يعيش حتي الأن ؟!

قال طارق :

- التفسير الوحيد لهذه الظاهرة أنني في حلم ، ويبدو أنه سيصبح حلما مزعجاً !!

قال نونو :

- والأن ما العمل ؟!

قال طارق :

- هل نذهب وننادي أحداً ليساعدنا ؟!

كان الصبي النائم علي الأرض والذي يشبه المومياء الفرعونية ينظر إليهما ولايتكلم •

قال نونو :

- خذ إكتشافك الأثري يا طارق واذهب به إلي هيئة الأثار المصرية ، وسجله بإسمك ، ألست تريد أن تكون مكتشفاً لهذا الأثر التاريخي ؟!

حرّك الصبي النائم يده اليمني معترضاً •

قال طارق :

- يبدو أنه يفهم ما نقوله من كلام •

إقترب نونو من وجهه ، وقال :

- أتفهم ما نقول ؟!

قال وكان يحرك رأسه بصعوبة :

- نعم •

قال طارق :

- الحمد الله إنه قال نعم ولم يقل كلاماً هيروغليفياً •

قال نونو :

- اتركه يستريح حتي يستطيع أن يتحدث إلينا •

قال طارق :

- وإذا تحدث باللغة الهيروغليفية ؟!

قال نونو :

- لاتخف فإني أعرف التحدث بها •

كانت السحب قد عادت إلي التزاحم فوقهما حتي خيل لطارق وهو ينظر إليها أنها ترقب ما يحدث بإهتمام .

بيبى وحكايته

- هل أنت الذي يبحث عنه صاحب البشرة البيضاء ؟.

قال طارق ، وقال نونو :

- أم صاحب البشرة السمراء ؟.

قال الصبي :

- أنا بيبي ، وأسكن قريباً من هنا.

قال نونو :

- افرح يا طارق لقد بدأ يتحدث باللغة العربيه الحديثة.

قال طارق مستفسراً :

- من أين ؟!

قال بيبي :

- من مدينة انب جح.

قال نونو:

- يقصد مدينة منف القديمة •

قال بيبي مصححا كلامه :

- تقصد من الذي جاء بي إلي هنا؟!

قال طارق :

- نعم.

قال بيبي وكان ينظر حوله :

- هل رأيتما رجلين أحدهما أسمر والآخر أبيض.
قال طارق :
- نعم ألم أقل لك أن رجلاً صاحب بشرة بيضاء يبحث عنك.
قال بيبي :
- هل يمكن أن تصطحباني ؟
قال نونو :
- إلي أين أنت ذاهب ؟
- لا أعرف.. فقط دعوني معكما.
قال طارق:
- لك هذا .. ولكن اذا رآك أحدهما.
قال نونو:
- سيذهب معهما .. أليس صاحبهما؟
قال بيبي:
- أنا . لا .. فهما اللذان جاءا بي إلي هنا .. وكنت لا أريد أن اذهب معهما.
قال طارق :
- اتريد أن تقول أنك مخطوف.
قال بيبي :
- نعم منذ عامين تقريباً.
قال طارق :
- وأين كنت تسكن ؟! .. معهما؟
قال بيبي :
- نعم ، فلقد أخذاني من بيتي القديم بجوار مصطبة عحا حيث كنت نائما ، فايقظاني بتلاوة كلمات سحرية ، عرفت فيما بعد انهم عثروا عليها وعلماني الكلام.

قال طارق :
- لا ترفع صوتك حتي لا يسمعك أحداً من زملائي فنحن نقترب منهم ونؤجل الكلام إلي وقت آخر.
لم يهتم أحد من التلاميذ بوجود بيبي بينهم ، بل اهتموا كثيراً بما يرونه من آثار الهرم الناقص الذي كانوا قد وصلوا إليه.
قالت السيده نادين :
- هذا الهرم ملك للملك «نبكا» من ملوك الأسره الثالثة.
وقال الأستاذ رءوف :
- هذه الأهرامات بنيت قبل هرم خوفو.
قالت السيدة نادين :
- قبل هذا الهرم كان هناك هرم الطبقات لملك من الأسرة الثالثة واسمه خع بو ، ويبدو أنه كان مبنياً ليكون هرما مدرجاً.
قال سعيد :
- والهرم الكذاب ؟!

الهرم الكذاب

كانوا جميعهم يلتفون حول السيدة نادين ، وكان هناك رأسان لرجلين غريبين تطلان معهم .
قالت السيدة نادين :
- هذا اسم من اسماء هذا الهرم الذي بناه الملك «حوتي» آخر ملوك الأسرة الثالثة فله اسم آخر الهرم المنحني أو الهرم المنبعج، ولقد بني هذا الهرم علي مساحة مربعة من الأرض طول ضلعه من أسفل ٦٢٠ قدماً وارتفاعه ٣٢٠ قدماً، أما مدخله فموجود في وسط

الواجهه الشمالية ويؤدي إلي ممر ضيق ذو سقف منخفض ، ينحدر انحداراً كبيراً ، أولاً في بناء الهرم نفسه ثم في الأرض الصخريه.

صاح طارق :

– بيبي ؟!

كان بجواره يمسك بيده ، وينصت معه إلي صوت السيدة نادين ، فتش طارق بين زملائه عنه.

قال نونو :

– لقد رأيت الرجلين يفتشان عنه بيننا.

قال طارق :

– لقد خطفاه مرة ثانية.

قالت المعلمة سعاد لطارق عندما رأته يفتش بين التلاميذ ويصيح منادياً بإسم بيبي:

– هل ضاع منك شيئاً يا طارق؟! ومن بيبي هذا؟

قال طارق :

– بيبي الذي أتي من مدينة انب جح ، أقصد مدينة منف .

قالت المعلمة سعاد :

– أنا لا أفهم ما تقوله بيبي . منف . ابن.

قال نونو :

– إنه لا يكذب مثل الهرم الكذاب ، إنه يتحدث عن صبي رأيناه، وكان معنا هنا.

قالت المعلمة سعاد :

– هذا ليس وقت المزاح والضحك ، واعتقد أنني بدأت اغضب من كلامكما.

خرج طارق ونونو من وسط التلاميذ الملتفون حول السيدة نادين، ونظروا حولهما في كل مكان .. لم يجدا أثرا للرجلين ولا

لبيبي ، فعادا مرة أخري إلي بقية التلاميذ يستمعون لشرح السيدة نادين التي كانت تقول:

– آخر الأهرام التي بنيت قبل الهرم الكامل بني في ميدوم.

هرم ميدوم

قال سعيد وكان ممسكاً بالخارطة في يده :

– ميدوم وهي إلي الجنوب من دهشور بمسافة ثمانية وعشرين ميلاً تقريباً.

قالت السيدة نادين :

– في البداية كان الهرم يتكون من هرم ذو سبع طبقات ، وبنيت كلها من أحجار محليه ثم غطيت من أعلي إلي اسفل باحجار جيريه من طره ، ولم تربط تلك الأحجار ببعضها البعض ولكنها اعتمدت في التصاقها علي زاوية الميل ، ولم يقدر لهذا الهرم أن يبقي كهرم مدرج حيث أنه تم ملأ الدرجات بالأحجار ثم غطي كل البناء بواجهه ناعمة من الحجر الجيري . وكان هذا الهرم للملك سنفرو من الأسرة الرابعة.

قال الأستاذ رءوف :

– اعتقد أنه كان هناك هرمان لسنفرو الأول كان في الجهة الجنوبية والآخر في الجهة البحرية من دهشور ، وهناك من قال أن هرم ميدوم كان للملك حوتي.

كانت صافرة الأتوبيس عالية :

– بيب – بيب

تنبه الواقفون علي انهاء السائق رمضان من اصلاح اتوبيسه المعطل.

أقبل التلاميذ يهنئون السائق رمضان لبراعته في اصلاح السيارة، كان يتلقي منهم التهاني بوجهه المبتسم ، متقبلا منهم المزاح.

– بيب . بيب . بيب.

أطلق صافرة الأتوبيس الذي بدا للجميع أنه فرح مثل الأخرين لإصلاح العطل به.

قالت السيدة نادين :

– هيا إلي اهرام الجيزة يا رمضان.

حرك السائق رمضان مؤشر المذياع وتوقف عند محطة تبث الموسيقي الخفيفة وقال :

– نستمع لهذا الفاصل الموسيقي أحسن من سماع الغناء ، فرأسي توجعني من شمس الشتاء.

قالت السيدة نادين:

– معك حق حتي نستطيع أن نتحدث سويا بدون ضوضاء.

سوريد بن سلهوق بن شرياق

قال الأستاذ رءوف :

– كان هناك كتاب اسمه حسن المحاضرة لمؤلفه جلال الدين السيوطي الذي توفي عام ٩١١ هجريه ، ومن الطريف أن احكي لكم ما كتبه هذا المؤلف عن الأهرام في كتابه هذا.

قال سعيد:

– جميل .. جميل يا أستاذ رءوف حتي نرى الفرق الشاسع بين نظرة القدماء ، ونظرتنا اليوم إلي هذه الأهرام.

قال الأستاذ رءوف:

– روي السيوطي أن جماعة من أهل التاريخ قالوا:

إن الذي بني الأهرام هو سوريد بن سلهوق بن شرياق ملك مصر ، وكان قبل الطوفان بثلاثمائه سنة، وسبب ذلك أنه رأي في منامه كأن الأرض انقلبت بأهلها ، وكأن الناس هاربون علي وجوههم ، وكأن الكواكب تساقطت ، ويصدم بعضها بعضاً بأصوات هائلة ، فأغمه ذلك وكتمه ، ثم رأي بعد ذلك كأن الكواكب الثانية نزلت إلي الأرض في صورة طيور، وكأنها تخطف الناس ، وتلقيهم بين جبلين عظيمين ، وكأن الجبلين انطبقا عليهم ، وكأن الكواكب النيرة مظلمة، فإنتبه مذعوراً ، وجمع رؤساء الكهنة من جميع اعمال مصر ، فأخبروه بأمر الطوفان ، فأمر عند ذلك ببناء الأهرام ، وملأها طلسمات وعجائب وأموالاً وخزائن، وغير ذلك ، وكتب فيها جميع ما قاله الحكماء، وجميع العلوم الغامضة ، وأسماء العقاقير ، ومنافعها ، ومضارها ، وعلم الطلسمات والحساب والهندسة والطب وكل ذلك مفسر لمن يعرف كتابتهم ولغاتهم.

كان التلاميذ جميعهم ينظرون في صمت إلي الأستاذ رءوف ، وعيونهم معلقة بشفتيه وهي تتكلم ، وكانوا لا يحدثون صوتاً.

أكمل الأستاذ رءوف وقال :

– وأحضر لها الصخور.

ثم سأل :

– من الذي أحضر لها الصخور؟

قالوا بصوت واحد قبل أن يعودوا إلي هدوئهم :

– سوريد بن سلهوق بن شرياق.

قال الأستاذ رءوف:

– و أحضر لها الصخور من ناحية أسوان، وجعل أبوابها تحت الأرض بأربعين ذراعاً، فلما فرغ منها كساها ديباجاً ملونا من فوق إلي أسفل ، وجعل لها عيداً حضره أهل مملكته كلها ، ثم عمل في الهرم الغربي ثلاثين مخزنا مملوءة بالأموال الجمه والآلات والتماثيل المصنوعة من الجواهر النفيسه ، وآلات الحديد الفاخر ، والسلاح الذي لا يصدأ ، والزجاج الذي ينطوي ولا ينكسر ، والطلسمات الغريبه، وأصناف العقاقير والسموم القاتلة ، وغير ذلك، وعمل في الهرم الشرقي اصناف القباب الفلكية والكواكب ، وما صنع أجداده من التماثيل ، وجعل في الهرم الملون اخبار الكهنة في توابيت من صوان أسود ، مع كل كاهن مصحفه، وفيها عجائب صنعته وحكمته ، وسيرته وما عمل في وقته ، وما كان وما يكون من أول الزمان إلي آخره ، وجعل لكل هرم خازناً يقتل من يقترب منه.

سكت الأستاذ رءوف عن الكلام ، ولكن لم يتكلم أحد من التلاميذ بل ظلوا ساكتين ينظرون إليه في استغراب.

قال الأستاذ رءوف :

– هيه ..إصحوا.

وقالت السيدة نادين :

– طبعاً هذا الكلام الذي كتبه السيوطي في مؤلفه حسن المحاضرة ، غير صحيح وخرافات .

قال نونو وكان التلاميذ جميعهم ينصتون للكلام :

– وهل صحيح أن هناك ملكاً إسمه سوريدين سلهوق بن شرياق حكم مصر؟

ضحكت السيدة نادين ، كما ضحك الأستاذ رءوف ، والمعلمة سعاد وقالوا بصوت واحد:

– طبعاً لا يوجد ملك حكم مصر علي مر العصور بهذا الإسم.

الجد خنوم خوفوى

– انظر !!

قال طارق فجأة لصاحبه نونو .

نظر نونو إلي المكان الذي يريده طارق أن ينظر إليه ..

بعيداً كان الرجلان وبيبي ، يمسكان بذراعيه حتي لايفلت منهما قال نونو :

– هل صدقت حكاية بيبي ؟!

قال طارق :

– كما صدقت حكاية نونو الجالس بجواري.

اقتربوا من الأهرام الثلاثة .. كانت عالية .. وأمامهم كان الحارس الأمين أبو الهول جالساً يرقب القادمين إلي أصحابه الثلاثة فوق الهضبة.

قال السائق رمضان الذي أوقف سيارته :

– هنا آخر مكان يمكنني الوصول إليه ، فممنوع صعود السيارات إلي الأهرامات.

كانوا يصنعون صفاً طويلاً صاعداً إلي أعلي ، في أوله الأستاذ رءوف وفي أخره السيدة نادين والمعلمة سعاد وبينهما التلاميذ يغنون ما يحلو لهم من ألوان الغناء المختلفة.

عندما اقتربوا من الهرم الأكبر .. قال طارق :

– هنا كان يرقد جدي خوفو وإسمه الحقيقي خنوم خوفوي وهو إسم معناه الإله خنوم يحميني .. وخوفو إبن الملك سنفرو.

جلس سعيد علي أحد أحجار الهرم ثم قام وقال :

– ما رأيكم أن نقوم نحن أيضاً باكتشاف جديد في الهرم الأكبر ؟

كان سعيد ينظر إلي الأحجار المكونة شكل الهرم ويقول :

– أريدكم أن تعدوا معي هذه الأحجار .

قالت السيدة نادين :

– وهل تقدروا ؟!

هزّ التلاميذ رءوسهم بالنفي ٠

قالت السيدة نادين :

– عددها ٢,٣٠٠,٠٠٠ كتلة حجرية ، تعالوا نري الجوانب الأربعة للهرم ٠

قالت المعلمة سعاد :

– تبدو متساوية عند القاعدة .

قالت السيدة نادين :

– الأبعاد للجوانب الأربعة هي كالتالي : الشمالي ٧٥٥,٤٣ قدماً ، والجنوبي ٧٥٦٠,٨ قدماً ، والغربي ٧٥٥,٧٧ قدماً.

نظر سعيد إلي إرتفاع الهرم وقال :

– وعندما كان الهرم كاملاً كان إرتفاعه ٤٨١,٤ قدماً ولكنه الأن ٤٥٠,٤ قدماً ومساحته تغطي ١٣,١ فداناً ٠

قالت المعلمة سعاد :

– هذا الهرم عاني الكثير من أيدي العابثين ، فقد نزعوا من جوانبه كل أحجار الكسوة الجيرية المجلوبه من طره.

المأمون بن هارون الرشيد

اقتربوا من المدخل في الواجهة الشمالية ، وجد التلاميذ فتحة أخرى تحتها ٠

قالت السيدة نادين :

– هذه الفتحة صنعوها في الهرم بأمر من الخليفة المأمون بن هارون الرشيد الذي ذاعت شهرته بما كتب عنه في قصص ألف ليلة وليلة ، وذلك تحت الإعتقاد بأن الهرم داخله كنزاً مخبوءاً ، وعندما لم يصلوا إلي الفتحة أو الباب صنعوا هم فتحة للدخول إلي الهرم.

قال الأستاذ رءوف :

– بعد ذلك العهد أصبح الهرم محجراً ميسوراً يمد من يشاء بالأحجار اللازمة لبناء القناطر فوق الترع ولتشييد المنازل والأسوار والمباني الأخري القريبة من الجيزة والقاهرة .

أشار نونو علي المدخل وقال :

– إن المدخل الموجود في الواجهة الشمالية علي إرتفاع ٥٥ قدماً فوق مستوي الأرض.

قالت السيدة نادين :

– جميل ، معلوماتكم مضبوطة ، هيا ندخل إلي الهرم ٠

كان ينحدر من المدخل ممر ، يسير في قلب الهرم وبعد مسافة يصبح الممر مستوياً حتي ينتهي إلي الحجرة ٠

قالت السيدة نادين :

– هذه الحجرة لم يكتمل بناؤها وإذا نظرنا إلي الجدار الجنوبي لهذه الحجرة لوجدنا فتحة تؤدي إلي ممر مقفل ونقر دون عناية ولم يتموه ، ولو لاحظنا نري أن هناك ممراً جديداً صاعداً إلي أعلي في قلب الهرم ، طوله ١٢٩ قدماً.

قالت ريهام :

– هل يمكنني أن أخرج ؟!

قالت المعلمة سعاد :

– من يريد الخروج فليخرج ولكن بهدوء.

قالت السيدة نادين :

– في أثناء تشييد الممر الصاعد كانوا يريدون أن تحتل حجرة الدفن مكانا في وسط الهرم في الجزء العلوي منه دون أن ترتفع كثيراً فوق مستوي الأرض ، وبنوا تلك الحجرة فعلاً في نهاية ممر يبدأ من أعلي الممر الصاعد.

قال الأستاذ رءوف :

– وأين الدهليز الكبير ؟

قالت السيدة نادين :

– قد بني الدهليز الكبير كإستمرار للممر الصاعد ويبلغ طوله ١٥٣ قدماً وإرتفاعه ٢٨ قدماً ، وترتفع جدرانه المبنية بالحجر الجيري المصقول.

قالت المعلمة سعاد :

– هناك درجة سلم في الطرف العلوي من الدهليز الكبير.

قالت السيدة نادين :

– هذه الدرجة تؤدي إلي ممر ضيق منخفض إلي حجرة الملك.

حجرة الملك

تجمع التلاميذ الذين لم ينصرفوا مع ريهام إلي خارج الهرم داخل حجرة الملك ، وكانت السيدة نادين مازالت تقوم بالشرح والتفصيل :

– بنيت حجرة الملك كلها بالجرانيت وتبلغ أبعادها ٣٤ قدماً و٤ بوصات من الشرق إلي الغرب ، و١٧ قدما وبوصتين من الشمال إلي الجنوب وإرتفاعه ١٩ قدماً وبوصة واحدة .

قال طارق :

– ولكن أين حجرة الملكة ؟

قالت السيدة نادين :

– تقع بين جانبي الهرم الشمالي والجنوبي ، وإلي الأن لانعرف هل كانت هذه الحجرة للملكة أم كانت مصممة علي أن يوضع بداخلها تمثال.

قال سعيد وكان ينظر إلي سقف حجرة الملك :

– إنظروا معي .. ما الذي يوجد فوق هذا السقف ؟

قالت السيدة نادين :

– لايوجد لسقف حجرة الملك مايماثله من الناحية المعمارية ، إذ يوجد فوق سقفها المسطح خمس حجرات منفصلة ، سقف الأربع الأولي منها مسطح ، أما سقف الحجرة الخامسة فمدبب ، وكان الغرض من بنائها تفادي خطر إنهيار سقف الحجرة .

قال الأستاذ رءوف :

– كنت أعتقد إننا سنشاهد حجرات وممرات مملوءة بالذهب والتماثيل.

قالت السيدة نادين :

– لقد تم سرقة ما تحتويه هذه الحجرات علي مدار السنين السابقة ، نعود إلي ماقلناه ، نظراً لانحدار الممر الصاعد في الهرم الأكبر إلي أعلي فإن عملية سده بعد الإنتهاء من الدفن كانت عملية شاقة وغير عادية فالممرات في الأهرام الأخرى إما منحدرة إلي أسفل أو مستوية تقريباً لذلك استطاعوا بسهولة سدها بأحجار كانت توضع خارج الهرم حتي يحين وقت الحاجة إليها ، وقد سدوا الممر الهابط في هذا الهرم بهذه الطريقة.

سر قاع البئر

قال نونو :

– وكيف خرج العمّال بعد وضع الحجر الأخير في الطرف العلوي للممر الصاعد؟

قالت السيدة نادين :

– منذ اللحظة التي تم فيها وضع السدادة الأخيرة في الطرف العلوي للممر الصاعد ، أصبح العمال الذين كانوا مكلفين بعملية وضع السقاطات من الأحجار في أماكنها النهائية غير قادرين علي ترك الهرم بالطريق العادي لذلك احتاطوا لذلك في عمل وسيلة الافلات بواسطة البئر التي تبدأ من الفجوة عند الطرف العلوي من الممر الصاعد وتنتهي عند الممر النازل.

قالت المعلمة سعاد :

– ولكن هذه العملية للخروج صعبة.

قالت السيدة نادين :

– بالعكس لم تكن إزالة هذه الأحجار بالشيء الصعب علي

العمال عندما حان الوقت ليشقوا لهم طريقا للنزول ، وبعد أن وصل آخر عامل إلي قاع البئر غطيت الفتحة التي في الجدار الغربي من الممر النازل بكتلة من الحجر وبذلك لايمكن تمييزها عن باقي الممر.

قال طارق :

– ومراكب الشمس التي أعتقد الفراعنة أن الإله يعبر السماء بها.

قالت السيدة نادين :

– تعالوا نخرج أولاً من الهرم ونتكلم .

خرجوا من الهرم ، كان الهواء بالخارج كثيراً ، كان يتطلب منهم أن يستنشقوه للتعويض عن نقص الهواء داخل الهرم فاستنشقوه .

قالت السيدة نادين :

– تتطلب ديانة الشمس وجود مراكب لمرافقة إله الشمس في رحلته اليومية عبر السماء ، وفي رحلته الليلية تحت الأرض ، كما يحتاج إليها للوصول إلي المنطقة الواقعة بعد الأفق الشرقي حيث يظن أن الأله يسكنون فيها ، وقد عثر في صيف ١٩٥٤ علي مركبتين سليمتين في الجهة الجنوبية من الهرم الأكبر.

هرم ابن الشمس سارع

كان الرجال الذين يصحبون جمالهم ينتشرون حولهم ينادون علي التلاميذ لركوبها .. قالت المعلمة سعاد :

– من يريد أن يركب الجمال فليركب ولكن لايبتعد .

قال طارق لنونو :

– ما رأيك ؟

قال نونو :

– إنهم ذاهبون إلي هرم خفرع ، وأنا أريد أن أكمل المجموعة الهرمية لهؤلاء الجدود الذين تتحدثون عنهم ما رأيك نركب جملين ونرافقهم •

قال الأستاذ رءوف :

– هل ستأتي يا طارق ؟!

لحق بهما طارق ونونو ولكن فوق جملين .

كانت الرؤية من فوق الجملين تختلف إختلافاً كبيراً عن الأرض فتزيد الرؤية روعة، كانت السيدة نادين تصحب التلاميذ في إتجاه هرم خفرع •

قال سعيد :

– هل كان خفرع من أبناء خوفو ؟!

قالت السيدة نادين :

– لقد أتي بعد خوفو ملكاً اسمه كاوعب ابنه الأكبر ، وكان أول أمير مصري مثل في تماثيله علي هيئة الكاتب تنويهاً بثقافته ، وخلفه ابنا أخر وهو جد فرع ، ولم يحكم أكثر من ثماني سنوات ثم أتي بعد ذلك خفرع وهو أخوه غير الشقيق وكان قد أطلق علي نفسه اسم سارع ومعناها ابن الشمس.

كانوا قد إقتربوا كثيراً من هرم خفرع •

قالت السيدة نادين :

– أهم المعالم الخارجية المميزة لهرم خفرع هي حجمه ، وذلك الجزء الباقي من كسائه الخارجي الذي مازال باقيا بالقرب من القمة ، ويلاحظ أن خفرع إستعمل الحجر متعدد الألوان من أثيوبيا•

قال طارق وكان قد نزل من فوق جمله :

– ولكني أحياناً أري أن هرم خفرع أكبر أو أكثر إرتفاعاً من الهرم الأكبر •

قالت السيدة نادين :

– نظراً لتشييد هذا الهرم فوق أرض مرتفعة قليلاً ، فإن بعض الناظرين إليه يظنون خطأ أنه أكثر إرتفاعاً من الهرم الأكبر ، ولكن إرتفاعه الحالي ٤٤٧,٥ قدماً أي انه أقصر من إرتفاع الهرم المجاور بقدمين ونصف القدم ، وفي الأصل كان إرتفاعه ٤٧١ قدماً ، ولذا كان أقل إرتفاعاً من الهرم الأكبر بنحو ١٠ أقدام .

قال الأستاذ رءوف :

– المساحة التي يشغلها هرم خفرع اليوم تبلغ حوالي ٦٩٠,٥ قدماً في كل ضلع، وكان يبلغ طول كل ضلع في الأصل ٧٠٧, ٤/٣ قدماً •

قال نونو :

– ومداخله ؟

قالت السيدة نادين :

– له مدخلان ، واحد في الواجهه الشمالية علي إرتفاع ٥٠ قدماً ، والأخر منحوت في الأساس الصخري للرصيف المحيط به ومن المدخل العلوي ينحدر ممر منخفض ضيق داخل قلب بناء الهرم حتي يخترق الصخر ثم يصبح أفقياً ويستمر كذلك حتي حجرة الدفن.

حذاء السائق رمضان

فجأة قال الأستاذ رءوف :

– أين السائق رمضان ؟

قالت جورجيت الصغيرة :

– ها هو .

نظر جميع التلاميذ والأستاذ رءوف والسيدة نادين والمعلمة سعاد حيثما أشارت جورجيت الصغيرة ، كان السائق رمضان أتيا من بعيد تجاههم يحمل تحت ابطيه حذائه ويمشي حافياً ، غرق التلاميذ في الضحك حتي إقترب منهم وقال :

– لماذا تضحكون ؟! إسألوا السيدة نادين هذه عادة فرعونية قديمة ، وأنا الأن فرعوني حديث، ألسنا في ضيافة أجدادنا الفراعنة.

قالت السيدة نادين :

– إستخدم المصري القديم النعال منذ عصوره المبكرة، فلوحة التوحيد يظهر فيها موظف يحمل نعلي الملك مينا ولكن هذا لايعني أن لبس النعال كان عاما في ذلك الوقت المبكر، ففي حالات نادرة إستخدم الخدم والعمال الزراعيين النعال في الحقول أثناء الدولة القديمة، وحتي العظماء الذين كانوا يمتلكون النعال الغالية كانوا يخلعونها كلما أمكن ذلك ويحملها عنهم حاملوا النعال.

أما في الدولة الحديثة فإختلف الأمر وأصبح إستخدام المصريين للنعال عاماً، وإن لوحظ أن حسن السلوك كان يحتم علي الإنسان أن يخلع نعله في حضرة الشخص الأعلي مقاماً ، وكان النعل يصنع من سيقان البردي أو سعف النخيل أو الجلد الذي كان يخاط بسعف النخيل وكان يشبه (الصندل) إلي حد كبير، وإن تميز بأشكال خيوطه التي تمر فوق القدم فكان هناك خيط يمر أعلي القدم وآخر يمر بين الإبهام والأصبع الذي يليه ، وفي حالة خاصة كان يوجد سير ثالث يلف حول القدم من الخلف ولكن

في نهاية الأسرة الثامنة عشر كان المصريون يفضلون نوعاً من النعال مدبب الطرف .

نظرت المعلمة سعاد إلي التلاميذ ، ولاحظت حركة غير عادية ، إنتبهت.

قالت للأستاذ رءوف :

– انظر معي

نظر معها إلي أقدام التلاميذ كانت حافية .. ثم إليهم حيث كانوا يحملون أحذيتهم تحت الإبط كما فعل السائق رمضان ، فصرخت فيهم :

– ما هذا ؟!

ثم طالبتهم بإعادة الأحذية إلي مكانها الطبيعي في أقدامهم ، أما الأستاذ رءوف فلم يستطيع أن يكتم ضحكه ، فضحك كثيراً .

إلى (أبو الهول)

كانت الجمال النازلة من الهضبة إلي حيث يرقد أبو الهول تصنع صفا طويلاً منتظماً يقوده رجال يرتدون الزي البدوي ، وفوق هذه الجمال كان التلاميذ والأستاذ رءوف والسيدة نادين ، والأستاذة سعاد .. قال طارق :

– ألم أقل لكم أن المشهد رائع من فوق الجمال ؟!

قال نونو :

– إنظر يا طارق لهذين الرجلين جيداً .

بعيداً كان رجلان يقفان ويلوّحان للجميع .. قال طارق :

– لماذا يلوّحان لنا ؟!

قال نونو :

– ألا يشبهان الرجلين اللذين خطفا بيبي ؟
قال طارق :
– إني قلق كثيراً علي بيبي •
وقفوا أمام أبي الهول ، قالت السيدة نادين :
– كان أبو الهول عبارة عن ربوة من الصخر تركها بناءوا الهرم الأكبر عند قطع الأحجار لبنائه ثم شكلت في عصر خفرع في صورة أسد هائل الحجم ذي رأس إنسانية ، وأغلب الظن أنه كان مغطي بطبقة من الجبس لوّنوها بعد ذلك •
قال الأستاذ رءوف :
– أتذكر عندما كنت صغيراً وأتيت إلي هنا بصحبة أبي كنت أريد أن أقيس طول هذا التمثال بالمسطرة •
قالت السيدة نادين :
– وكم كان القياس ؟!
قال الأستاذ رءوف :
– بلغ طول التمثال نحو ٢٤٠ قدماً وإرتفاعه ٦٦ قدماً •
قال سعيد مندهشاً :
– كل هذا قسته بالمسطرة !!
قال الأستاذ رءوف :
– طبعاً لا .. ولكن غيري قاسه بالقياسات العلمية الحديثة ، أتعرفون عرض وجهه كم قدم ؟
قال نونو :
– ١٢ قدم و٨ بوصات
سأله طارق متعجباً :

– من أين عرفت هذه المعلومة ؟
قال نونو :
– ألا تعرف إننا ندرس هذه الحضارة في مدارسنا •
قالت السيدة نادين :
– إنظروا فوق رأسه لباس الرأس الملكي وشعاران آخران للملكية هما حية الكوبرا
قالت ريهام :
– ومن الكوبرا هذه ؟!
قالت جورجيت :
– ثعبان . ثعبان
قالت السيدة نادين :
– فوق رأسه لباس الرأس الملكي وشعاران آخران للملكية هما حية الكوبرا علي جبهته واللحية •
قال طارق :
– أين هي ؟
قالت السيدة نادين :
– قد ضاع جزء كبير منها الأن ، ومع أن الوجه قد تغير كثيراً إلا أنه شبيهاً بصورة الملك خفرع ، وكان أمام صدر أبي الهول تمثال للملك ، ولكن لم يبق له من الأثر إلا اليسير ، وبين يديه هنا .
واشارات علي ذراعيه :
– وبين يديه الممتدتين لوحة كبيرة من الجرانيت الوردي عليها نقش يسجل رؤيا للفرعون تحوتمس الرابع من الأسرة الثامنة عشر قبل أن يعتلي العرش.

حلم الملك تحوتمس الرابع

قال السائق رمضان مستأذناً السيدة نادين :

– هل لي أن أحكي لهم هذه الحكاية ؟ !

– تفضل .

قال السائق رمضان بصوت مرتفع حتي يسمعه الجميع :

– خرج الأمير تحوتمس ليصطاد ، وعزم علي أن يستريح وقت الظهيرة في ظل أبي الهول ، وأثناء نومه وعده أبو الهول – الذي كان يعتبرونه في هذا الوقت رمزاً لاله الشمس – بمنحه تاج مصر المزدوج إذا أزاح عنه الرمال التي كانت تبتلع جسمه .

قال طارق :

– وهل تحققت رغبة أبو الهول؟

قال السائق رمضان :

– تحققت وكوفيء بتاج أمير الوجهين .

قال السيدة نادين :

– وعلاوة علي إزاحة الرمال قام تحتمس الرابع بترميم الأجزاء المتهدمة من الجسم بوضع قطع صغيرة من الحجر الجيري في الأجزاء التي تهدمت .

قالت المعلمة سعاد :

– لكن الرمال عادت وغمرته .

قال الأستاذ رءوف :

– وأول من قام بحفر أبي الهول وأزاح الرمال عنه في العصر الحديث هو الكابتن كافيليا عام ١٨١٨ وتكلفت حفائره ٤٥٠ جنيهاً ولكنه لم يصبح أميراً أو ملكاً.

قالت السيدة نادين :

– بعد ذلك بثمانية وستين عاماً من هذا التاريخ رفع جاستون ماسبرو ماحوله من رمال .

قال الأستاذ رءوف :

– أتعرفون لماذا إختار الملك خفرع جسم أسد ؟

قال نونو :

– يمثل الأسد في الأساطير المصرية حارس الأماكن المقدسة ، ولا يعرف متي وكيف ظهرت هذه الفكرة ، ولكن يحتمل أن تاريخها يرجع إلي عهد قديم ، فقد إعتبروا الأسد حارساً لبوابات العالم السفلي في الأفقين الشرقي والغربي.

قالت السيدة نادين :

– واستمر الأسد في مهمته في الحراسة ولكن علي صورة أبي الهول الذي كانوا يعتقدون أنه يحمل وجه اله الشمس أتوم .

ثم توجهوا إلي بوابة الدخول إلي أبي الهول .

قالت السيدة نادين :

– وفي نقش ربما يرجع تاريخه إلي عصر خفرع يقول مايأتي علي لسان أبي الهول .. إني أحافظ علي هيكل مقبرتك ، وأحرس حجرة دفنك ، وأطرد عنها الغرباء المتطفلين ، وأرمي بالأعداء إلي الأرض وأسلحتهم معهم ، وأطرد الشرير من هيكل قبرك ، وأهلك خصومك من مخابئهم سادا إياها فلا يخرجون منها ثانية

قال طارق :

– ولكن لماذا تم توحيد صورة الملك المتوفي مع صورة اله الشمس ؟!

قالت السيدة نادين :

– ربما كان السبب في توحيد صورة اله الشمس مع صورة



الملك المتوفي هو الإعتقاد بأن الملك سيصبح بعد موته اله الشمس حسب ديانة الشمس ، ولهذا فإن أبا الهول يمثل خفرع كاله للشمس ويقوم بعمل الحارس .

قال سعيد :

– إنكم تحكون حكايات تشبه حكايات الأساطير والخرفات ٠

قالت المعلمة سعاد :

– الأن سنعود ونطلع إلي الملك منقرع ٠

قالت السيدة نادين :

– وإسمه الصحيح منكاورع

قالت المعلمة سعاد :

– سنتقابل هناك في تمام الساعة الثالثة والنصف ٠

قال طارق لنونو :

– فرصة يا نونو ، نبحث عن بيبي

قال نونو :

– أمازلت مصدقاً حكاية بيبي هذه ؟

بيبى يظهر من جديد

– ها هو بيبي ٠

صاح طارق ٠

كان بيبي ينظر إلي السماء حيث توجد الشمس ، ويتمتم بكلمات غير مسموعة ٠

قال طارق :

– هل يصلي للشمس ؟!

قال نونو :

– نعم ، فقد كانت الشمس عند قدماء المصريين إله يعبدونه بإسم الإله رع ، وكان مقره هليوبوليس حيث كان يرأس تاسوع الإله ، وإنتشرت عبادته بدءاً من الأسرة الثانية ، وبعد ذلك بوقت قصير جاء بناء الأهرام ، التي هي أصلاً من الآثار الشمسية ، مما يدل علي أن إتخاذ الملوك في أسمائهم لكلمة رع هو التشبه بالآلهة وقدكان أول من إتخذ لقب رع في إسمه هو الملك خفرع بإعتبار أن رع هو الرئيس الرسمي لمجموعة الألهة الرسمية ، ولكن سرعان ما ظهرت آلهة تنافس رع وهو الإله آمون وقد ظهر في البيت الملكي في طيبة بعيداً عن بيت رع، ولكن لم يكن من الممكن للمصريين أن يتناسوا أهمية رع أو الشمس التي تسطع في السماء كل يوم.

قال طارق:

– إنهم يذكّروني بقصة إبراهيم عليه السلام، عندما نظر إلي الشمس وقال الشمس إلهي ، وعندما وجدها تغرب قال إنه اله لايختفي ولاينام ٠

نظر طارق طويلاً إلي بيبي الفرعون الصغير وكان قد رفع يديه إلي الشمس ، وقال لنونو:

– هل سيظل هكذا طويلاً ؟!

قال نونو:

– لا وحتي ينتهي من طقوسه سأحكي لك حكاية رع والشمس عند قدماء المصريين ، ويقولون إن الشمس عندما تشرق علي الشاطئ الشرقي البعيد تحي هذا الشروق مجموعة من القردة بمجرد ظهورها من الماء، فعندما تظهر توقظ هذه القردة من نومها ، فترقص طربا لظهور الشمس ، بعد ذلك يركب رع سفينته النهاريه

التي تبحر به عبر السماء حتي المساء ، بعد ذلك ينتقل من سفينة النهار إلي سفينتة الليل.

نظر طارق إلي الشمس وقال:

– معني ذلك أن رع الأن راكب سفينة النهار.

قال نونو:

– نعم ، وسفينة الليل في إنتظاره حيث يقضي بها الليل أثنتا عشر ساعة في انتظار أن يشرق مرة أخري.

قال طارق:

– ويفعل هذا كل يوم؟!

قال نونو:

– ويفعل هذا كل يوم ، وهناك حكاية أخري عن رع تقول أنه عند الشروق يكون طفلاً.

قال بيبي الذي انتبه لهما :

– خبري ٠

قال طارق لنونو :

– ماذا يقول هذا؟!

قال نونو:

– خبري تعني الطفل الصغير، وفي منتصف النهار يكون رجلاً كاملاً ٠

قال الفرعون الصغير مرة أخري :

– رع ٠

قال نونو :

– وفي المساء يكون عجوزاً ٠

قال بيبي :

– آتوم ٠

قال طارق لبيبي :

– هيا تعال معنا حتي لايلحق بنا الرجلان

ملابس الفراعنة

أمسك طارق بأطراف ثوب بيبي الذي كان يزيل التراب عنه ، وقال :

– هذا الثوب جديد ، وليس من أيام الفراعنه ٠

قال نونو :

– زي الأطفال لم يتغير علي مدار العصور الفرعونية المختلفة ، فقد كانوا صبيانا وبناتا يسيرون عرايا الأجسام.

كان بيبي يرتدي جلباباً ملوناً باللونين الأبيض والأحمر مزداناً بالزهور الصغيرة حول الصدر يشبه أثواب أبناء النوبة.

قال طارق:

– في البداية كانت ملابس الرجال تستر الجزء السفلي من الجسم وكان في الغالب من جلد الحيوان ، ومع تطور الحضارة في مصر عرف المصري النسيج وإتخذ الملابس التي تطورت عبر العصور وإختلفت من إنسان إلي آخر حسب مكانته في المجتمع ،كما اختلفت هذه الملابس حسب من يلبسها فملابس الشباب تختلف عن ملابس كبار السن ، وحسب الوظيفة التي يشغلها الرجال فملابس الجنود تختلف عن ملابس الكهنة .

قال نونو :

– في الدولة القديمة لبس الرجل قطعة تلتف حول الوسط اضيفت إليها قطعة ثانيه وفي الدولة الحديثه غطي الصدر أيضا

برداء، وكما قلت يا طارق أن اللباس يختلف تبعا لوظيفة الرجل فاللباس الملكي كان يختلف عن لباس رجال البلاط.

قال طارق بيبي :

– قل لي ما الذي أتي بك إلي هنا؟!

قال بيبي :

– أرادا أن يخبأني هنا حتي يأتي الليل ٠

قال طارق :

– أكمل لنا حكايتك فقد قلت لنا أنك من مدينة أنب جح ٠

قال نونو :

– من مدينة منف .. أنب جح اسمها القديم وهي كلمة تعني الجدار الأبيض أو السور الأبيض ، وقد قالوا أن من قام بإنشائها هو الملك متي موحد القطرين والمعروف باسم مينا ٠

قال بيبي :

– تقصد الملك نارمر أول ملك من ملوك الأسرة الأولي.

قال طارق:

– يااااه مسافة زمنية بعيدة بين الأسرة الأولي والآن ، كم تبلغ هذه المسافة الزمنية؟

قال نونو:

– ثلاثة آلاف ومائتين عاما قبل الميلاد وأضف اليهم ألف وتسعمائه وثمانية وتسعون عاماً بعد الميلاد يصبح المجموع خمسة آلاف وثمانية وتسعون .

قال طارق والدهشة واضحة علي وجهه :

– معقوله أنت عمرك الأن يقترب من الستة آلاف سنة.

قال بيبي :

– أنا لا أفهم ما تقصد بهذه الأرقام المخيفة، كل الذي أعرفه أنني عندما ذهبت للنوم كان عمري وقتها ثلاثة عشر عاماً.

قال طارق :

– أتقصد أن الرجلين صاحبي البشرة البيضاء والسمراء أيقظاك من النوم وأحضراك إلي هنا.

قال بيبي :

– نعم

الساحر بانكرايتس

قال طارق مستغربا :

– ولكن كيف ايقظاك ؟

أدار بيبي وجهه نحو الخلف واليمين و اليسار مخافة أن يكون أحدهما يسمعه، وقال :

– يقول أحدهما أن معه كتابة علي ورقة بردي وجدها مخبأة في مقبرة توت عنخ أمون كتبها الساحر بانكرايتس وهو من أهالي مدينتي ، يستطيع أن يوقظ بها كل اهالي مدينتي النائمون.

قال طارق ، بيبي :

– وهل تصدق ما قاله هذا الرجل ؟

قال بيبي :

– وكيف لا أصدقه وأنا موجود معك

– إذن هما لصان !!

قال نونو :

– أو عالمان ٠

قال طارق :

– لا اعتقد انهما من العلماء ، والدليل علي ذلك انهما تعاملا معه كما يتعامل اللصوص مع المسروقات ولكن !

سكت طارق ، وقال لنونو الذي كان ينظر إلي السماء حوله :

– ولكن ماذا كانا يريدان منه ؟!

قال بيبي :

– الذي اعرفه أنني كنت سأسافر معهما إلي بلاد بعيدة.

فجأة أمسك بيبى بيدي طارق ونونو صائحاً :

– انظرا رجلان راكبان جملين يتجهان نحو هنا.

نظر طارق وبيبي رأيا الرجلين كما رأهما نونو.

قال طارق :

– هيا نبتعد عن هنا قبل أن يلحقا بنا.

ثم نظر إلى ساعته والي الشمس التي لم تغب بعد :

– الساعة الآن الرابعة والنصف ، لقد مرت نصف ساعة علي ميعاد التجمع عند هرم منقرع، ستقلق الأستاذه سعاد كثيرا علي غيابنا..

ثم مشي مسرع الخطي يحثهما علي اللحاق به.

ليس نونو وليس طارق

بعد أن قطعوا مسافة غير طويلة وجدوا أنفسهم عند هرم منقرع من جهة الغرب ، نظر طارق ونونو إلي بعضهما، كان المكان خالياً من التلاميذ، قال طارق بعدما نظر في ساعته، حيث كان الوقت قد تخطي الميعاد المتفق عليه مع الآخرين للتجمع.

– ما العمل ؟

– يبدو أنهم انصرفوا بعدما طال إنتظارهم لنا ، أري أن نبحث عنهم في الجهات الثلاثة الاخري للهرم فقد نلحق بهم.

ظل بيبي ساكتاً ، ينظر اليهما ، وينتظر قرارهما ، وعندما تحركا تحرك معهما في الجهة الجنوبية للهرم وجدوا رجلاً يرتدي قفطاناً من الصوف البني الفاتح واقفاً لا يتحرك ، ما أن رآهم حتي حملق في وجه طارق ونونو، وخيل لنونو أن يكون أحد اللصين اللذين سبقا وأن خطفا بيبي.

قال نونو هامساً لطارق :

– هيا ننصرف من هنا وبهدوء ، يبدو أن هذا الرجل من لصي الآثار.

قال طارق فزعاً :

– صحيح .

وما أن تحركا بعيداً قليلاً عن الرجل حتي صاح الرجل :

– يا أستاذ طارق، يا أستاذ نونو.

قال طارق لنونو:

– الزم الهدوء ، إنه يعرفنا ، ها هو يقترب منا.

قال بيبي:

– لا ترتعش.

قال الرجل متحركاً داخل جلبابه الفضفاض :

– أنا أفهمها وهي طائره ، لقد عرفتكما من أول نظرة .. ولكن قالوا لي أنكما إثنان وليس ثلاثة نظر طويلا إلي بيبي وقال :

– من يكون حضرته ؟

قال طارق :

– لست نونو وليس هو طارق الذى تنادى باسمهما أقصد لست أنا طارق وليس هو نونو .. أتريد شيئاً آخر

جمع الرجل مازاد من جلبابه من قماش بيد واحدة وقال:
– أنا آسف ، كنت أفتكر أنكما طارق ونونو ، فأنا واقف هنا منذ ساعة كاملة في انتظارهما ، فمعي رسالة لهما من الأستاذة سعاد.

حياهم برفع يده وقال :
– سلام
وانصرف الرجل.
كانت الشمس تميل للغروب ، وكان بيبي يتابعها بناظريه أينما ذهب معهما ، قال بيبي :
– ارجعاني إلي مدينتي.
قال طارق :
– أية مدينة تتحدث عنها؟
– أنب جح
قال نونو :
– يابيبي أنت في أمان معنا ، انتظر حتي نري ماذا سنفعل ؟
قال طارق في الحال :
– نعود الي الرجل الذي كذبنا عليه ، ونأخذ منه الرسالة التي تركتها لنا الأستاذه سعاد.

رسالة الأستاذة سعاد

كان الرجل قد رجع الي مكانه القديم أمام هرم منقرع ، واقفا لا يتحرك كتمثال فرعوني قديم.
وقف الثلاثة أمامه في أدب جم، كالتلميذ الواقف أمام استاذه،

نظر الرجل في وجوههم وابتسم ابتسامة كبيرة ، أراحت قلوبهم وطمأنتهم.
قال طارق:
– أنا طارق
قال نونو:
– وأنا نونو
هزّ الرجل رأسه موافقاً علي كلامهما .
وقال:
– ألم أقل لكما إني أفهمها وهي طائرة ، لقد عرفتكما من أول نظرة.
وأشار علي بيبي وقال:
– وهذا؟
قال نونو في اعتداد:
– هذا صديقي بيبي.
ضحك الرجل وارتج جسده ودمعت عيناه ، وقال :
– بيبي.
وعندما تعب من الضحك سكت وقال:
– إسم علي مسمي ، فأنت تشبه ابن الملك الأول ، اقول لك إذا كنتم لا تصدقوني إذهبوا إلي المتحف المصري ستجدون تمثالاً من النحاس المطروق للملك بيبي الأول أحد أهم ملوك الأسرة السادسة بجانبه تمثال صغير لابن الملك وانتم تصدقوني.
كان قرص الشمس الأرجواني قد مال للغروب كثيراً ، وكان بيبي لا يهتم كثيراً بكلام الرجل بقدر إهتمامه بمغيب الشمس.
عاد الرجل للكلام ناظرا لبيبي ولقرص الشمس الأرجواني:
– الغروب جميل من هنا.

ثم قال لنونو وطارق:
- يبدو أن صاحبكم فنان فهو يحب منظر الغروب.
قال طارق مذكراً الرجل:
- لم تقل لنا ماهي الرسالة التي تركتها معك الأستاذه سعاد لنا.
قال الرجل:
- قالت لي أخبركما أن تنتظرا السائق رمضان فسوف يأتي ويأخذكما.

حمدان حارس منكاورع

قال نونو:
- وأنت ماذا تفعل هنا؟
قال الرجل:
- أنا حارس هرم منكاورع ، وحتي يأتي السائق رمضان سأحكي لكم حكاية هذا الهرم ونحن نتجول داخله لنتعرف عليه ، وهذه خدمة مني مجاناً ، نسيت أن أعرفكم باسمي أنا حمدان.
قال بيبي مقاطعاً حمدان :
- أنا أعرف الملك منكاورع هذا.
دهش حمدان وأعاد عقد حاجبيه وقال :
- إنك تتحدث عنه كأنك تعرفه معرفه شخصية.
قال بيبي :
- نعم.
تضايق حمدان من حديث بيبي معه وقال لصديقيه طارق ونونو:
- يبدو أنه تقمص شخصية فتي فرعوني ، معتقداً أنه يعرف منكاورع أكثر مني ما دام إسمه بيبي.

قال طارق ملاطفا حمدان :
- لا تغضب... إنه يمزح معك فقط.
قال حمدان وكان لم ينس ما قاله بيبي بعد :
- إذا كان يعرف منكاورع كما يقول فليخبرني متي تأكد للجميع أن هذا الهرم يخص منكاورع.
ومن الذي اكتشف هذا ؟
قال نونو ضاحكا :
- أجب ياصديقي، لقد أوقعت نفسك في مطب كبير ، أرنا كيف ستخرج منه؟
قال بيبي :
- وهل كنتم لا تعرفون أن هذا الهرم يخص الملك منكاورع الطيب.
قال حمدان مزهواً بإنتصاره علي بيبي.
- لا تعرف .. كنت أعرف أنك لا تعرف.
ولم يهتم بما قال بيبي ، فاقترب طارق من أذن بيبي وقال :
- إحترس يا بيبي حتي لا يشك الرجل وينكشف أمرك ويأخذك إلي هيئة الآثار.
سأل بيبي :
- ما هي هيئة الآثار؟
قال حمدان وكان قد سمعه :
- وأيضاً لا تعرف هيئة الآثار ، إذن لا تتحدث فيما لا تعرفه واتركني أنا اتحدث ، فهيئة الآثار هي التي تحمي الآثار وتحافظ عليها.

الكولونيل هواردفيس

صمت بيبي وترك حمدان يتحدث :

– لم يتحقق بصفة قاطعة ملكية هذا الهرم لمنكاورع إلا علي يد الكولونيل هواردفيس ما بين عام ١٨٣٧ وعام ١٨٣٨ ميلادية ، حينما إكتشف إسمه مكتوباً بالمغرة الحمراء علي سقف حجرة الدفن.

عاد بيبي للكلام وقال :

– لم أسمع إسم فيس من قبل ، فلم يكن يعيش أحداً بيننا بهذا الإسم ، فاسم فيس ليس من أسمائنا.

جذب نونو بيبي تجاهه وقال :

– كيف تعرفه ، والفرق الزمني بين الزمن الذي عشت فيه وزمنه آلاف من السنين .

التفت اليهما حمدان الذي كان قد سبقهما وصعد إلي باب الهرم مع طارق وقال:

– ماذا تقولان ؟ من فيس هذا ؟ أقول لكما من قديم الزمان حتي الآن يأتي إلي البلاد مستكشفين للآثار من بلاد أخري ، بريطاني أو فرنسي أو سويدي مبعوثين من جهات رسمية عالمية مثل المنظمات التابعة للأمم المتحده وهؤلاء يعملون تحت سمع وبصر الحكومة ، وفيس واحد من هؤلاء.

قال نونو:

– وهناك آخرون يأتون من هذه البلاد ومن داخل البلاد

ليكتشفوا الآثار بعيداً عن سمع وبصر الجهات المسئولة داخل البلاد ويسرقونها.

قال بيبي :

– مثل لصوص الآثار.

قال طارق ملتفتاً خلفه لنونو :

– مثل اللصين الذين يتبعاننا.

قال حمدان وكانوا لا يرونه :

– لصوص ؟ قسم شرطة الآثار مكانه قريب من هنا إذا أردتم الابلاغ عن اللصوص.

ثم قال من داخل الظلام :

– هل تريدون حقا الدخول إلي الهرم ورؤيته من الداخل ؟!

قال طارق :

– إذا لم يكن هناك مانع.

قال حمدان :

– ليس هناك مانع ، تفضلوا ، ها هو الضوء قد أتي.

كانت هناك مصابيح كهربائية موضوعة بطول الممر.

قال حمدان دون أن يلتفت إليهم :

– لقد قطعوا هذا الممر في الصخر وهو يؤدي إلي حجرة مستطيلة الشكل ، وهناك ممراً ثانياً تحت هذا الممر ويؤدي أيضاً إلي الحجرة المستطيلة والسبب لإنشاء هذا الممر أنهم كانوا يريدون تكبير البناء العلوي للهرم ، وذلك حتي يحتفظوا بموقع المدخل في الواجهه الشمالية في مستوي مرتفع عن سطح الأرض ، وقد كسي الممر الجديد من المدخل بالجرانيت.

غرق منكاورع

كانوا يقتربون من نهاية الممر المنحدر الذي إتسع عن بدايته ، وكانت هناك حجرتين ، قال حمدان وهو يقف عند باب إحداهما بعد أن إنحدر من الحجرة الأصلية :

– هذه الحجرة لوضع الأشياء التي يرغب الملك أن تكون قريبة من جثته.

كان طارق واقفاً وسط فراغ الحجرة يبحث عن الأشياء التي تحدث عنها حمدان والذي قال له :

– لا تتعب نفسك لقد سرقها اللصوص علي مر العصور.

قال نونو :

– والحجرة الثانية ·

قال حمدان وكأنه يقرأ في كتاب محفوظ كلماته :

– حجرة دفن جديدة ·

رجع حمدان إلي الممر ووراءه طارق ونونو الذي إنتبه فجأة إلي عدم وجود بيبي معهم فهتف :

– أين بيبي ؟!

أراد الرجوع إلي الحجرتين فأمسكه حمدان من كتفه وسأله :

– بيبي لم يأت معنا إلي الحجرتين ، لقد تركناه خلفنا في نهاية الممر.

علي الجانب الأيمن من الممر ، وعلي إرتفاع بضع درجات وجدوا حجرة مستطيلة فيها أربع حجرات صغيرة وعميقة في الجدار الشرقي ، واثنتان في الجدار الشمالي ، والحجرة كلها مقطوعة في الصخر.

قال طارق :

– أنا لن أذهب إلي أي مكان آخر دون العثور علي بيبي.

قال حمدان الذي كان واقفا في نهاية الممر أمام حجرة جديدة:

– ها هو بيبي يا أستاذ طارق في حجرة الدفن الجديدة.

لحق طارق ونونو بهما في حجرة الدفن الجديدة والتي شيدت كل جدرانها وأرضيتها وسقفها من الجرانيت ، وكان الجانب الأسفل من سقفها يشبه البرميل.

كان بيبي يتأمل حوائط وسقف الحجرة عندما دخل عليه حمدان الذي قال :

– أنت هنا!!

وقال طارق آخر الداخلين إلي الحجرة :

– لقد وقعت قلبي من الخوف ، خفت عليك.

قال حمدان لطارق:

– لا تخف عليه ، فالهرم أمان.

قال بيبي لحمدان :

– أين الملك منكاورع ؟! هل أخذه الكولونيل فيس ؟!

نظر حمدان ملياً في وجه بيبي .. وقال :

– أنت تقول كلاماً صحيحاً ، لقد عثر الكولونيل هواردفيس داخل هذه الحجرة علي تابوت مستطيل من حجر البازلت ، زينت أوجهه علي شكل دخلات وخرجات، ولسوء الحظ ضاع هذا التابوت الجميل الذي كان يحوي أصلاً جثة منكاورع عندما غرقت السفينة التي كانت تنقله إلي انجلترا أمام شاطئ أسبانيا.

– هل يمكن لنا أن نخرج من الهرم الآن ، فالهواء هنا قليل.

قال طارق .

نظر اليه حمدان والي ساعته وقال :

– طبعاً طبعاً سنخرج فالوقت قد تأخر ، وزمان السائق رمضان واقف في انتظاركم أمام الباب.

الجملان

أمام الباب كان الهواء باردا ، والظلام قد حل بالمكان ، وقد بدد جزء من سواده سطوع القمر في السماء.

– إني لا أري السائق رمضان ، بل أري جملين واقفين بالقرب من هنا.

قال طارق أول الخارجين :

– جملان!!!

نظر معه اليهما ، لم يكن معهما أحد.

قال حمدان الذي كان يمسك بيد بيبي ويساعده في الخروج.

– لا تخف من الجمال فهي حيوانات أليفة.

قال طارق :

– لم يأت السائق رمضان بعد.

قال بيبي :

– والعمل ؟!

قال حمدان :

– ستنتظرون معي حتي يأتيكم رمضان.

ثم عاد وقال :

– أقول لكم انتظروا هنا.

– إلي أين ؟!

صاحوا معاً.

ابتعد عنهم قليلاً وقال :

– سأحضر لكم شاياً.

ثم اختفي داخل الظلام.

جلس الثلاثة فوق حجر واحد من الحجارة المتناثرة حول الهرم، متلاصقين، ترتعش أجسامهم الصغيرة من البرد والخوف.

قال بيبي :

– أخاف أن يأتينا الرجلان.

– لا تخف فنحن معك.

– مارأيكم في الغناء ؟!

– فكرة جيدة هيا نغني.

كانت أصواتهم هي ما تبقت لهم من بث روح الطمأنينة في قلوبهم ، فظلوا يتكلمون كلاماً كثيراً.

–هل الجملين هما نفس جملي الرجلين.

– الجمال كثيرة في هذا المكان.

– ولكنهما جملين وليسا ثلاثة أو أربعة.

بيبي يغني

– لماذا لم نغني ؟

– غني أنت يابيبي اسمعنا صوتك.

– سأغني أغنية من أغانينا القديمه، فعندما يسوق الفلاح ثيرانه حول الجرن ليدرس سنابل القمح ، ليفصل الحب عنها يغني ويقول :

ادرسي لنفسك ادرسي لنفسك أيتها الثيران.
ادرسي لنفسك ، ادرسي لنفسك.
فالتبن لكي والشعير لكي.

لا تتواني فاليوم عليل الهواء.
ادرسي ادرسي.

– اغنية جميلة ، ولكن قل لي يا بيبي ، هل تستطيع أن تتحدث هيروغليفي؟

كان بيبي يجلس بينهما ، ويرتعش مثلما يرتعشان من برد الليل.

قال بيبي :

– وهيراطيقي وعربي .

– أنت ترتعش

أعطاه طارق سترته الجلدية وعاونه في ارتدائها ومعه نونو .

– ستشعر بالدفء داخلها.

كان نونو ينفخ في يديه ويحكهما ، فيقلل إحساسه بالبرد .

– لقد تأخر حمدان

– والسائق رمضان

– والعمل ؟!

تبادلوا الكلام والنظر أمامهم حيث يرقد الجملان في هدوء علي الرمال.

قال طارق :

– نذهب إلي قسم الشرطة:

– وبيبي ؟!

قال نونو :

– فلنجلس قليلاً من الوقت ، وإذا لم يأت أحد نذهب إلي قسم الشرطة فهو المكان الوحيد الآمن في هذه المنطقة.

نبوءة مدينة بوتو

قال طارق لبيبي :

– نسيت أن أسألك هل تعرف الملك منكاورع ؟! احك لي عنه.

قال بيبي :

– كان ملكاً عادلاً ، وامتدحه شعبه في هذا الوقت بسبب عدالته أكثر من أي ملك آخر ، بل أنه عندما كان يري أحد الناس غير راضي عن حكمه يعطه تعويضاً من ماله الخاص لكي يهدئ من ثورة غضبه ، و لكن كان حكم منكاورع العادل الرحيم حكما قصيراً.

قال نونو :

– وما هي حكاية النبوءة التي جاءته من مدينة بوتو؟!

قال بيبي :

– جاءته نبوءة من مدينة بوتو تقول له : ستعيش علي الأرض ست سنوات وستنتهي ايامك في العام السابع ، وغضب منكاورع وأرسل رسالة ملاى بالغضب إلي النبوءه معلنا فيها عدم العدالة وقال: إن كلا من أبي و عمي ويقصد خوفو وخفرع قد اهلكا جموعاً كثيرة من الناس ، وقد تمتع كل منهما بحياة طويلة وأنا التقي الطيب لا أعيش الا حياة قصيرة.

انتبه طارق لحديث بيبي فسأله:

– وماذا كان رد النبوءة علي رسالته؟!

قالت النبوءة لمنكاورع : لهذا السبب بالذات تنتهي حياتك

سريعاً وعندما وصلت الي منكاروع هذه الرسالة أحس أن قضاءه أصبح محتوما ، فأمر بتجهيز المصابيح لإيقادها كل يوم عند المساء، وأقام المآدب ، ومتّع نفسه بدون إنقطاع طول الليل والنهار ، متنزهاً في الأحراش والغابات ، ومرتحلاً إلي الأماكن التي يطيب العيش فيها ، وكانت رغبته اثبات كذب النبوءة.

قال طارق متسائلاً :

– وهل دام حكمه ست سنوات.

قال بيبي ، وكان ينصت للأصوات التي تأتيه من حوله :

– لا

– كم سنة عاشها حاكماً لمصر؟

– دام حكمه ثماني عشر سنه ، ولكنه مات موتاً مفاجئاً ، ولم يكمل بناء المباني التي تبني في العاده للعبادة حول هرمه مثل مبني الوادي ومعبده الجنائزي ، وأكمله ابنه الملك شبسكاف تكريماً لوالده.

ثم سكت قليلاً وقال :

– لقد سمعت صوتاً قد يكون صوتي.

– لا .. إنه آتي من حولنا.

التفت بيبي ومعه طارق ونونو خلفهم ، ثم بحثوا بعيونهم حولهم.

– يبدو أنه قد خيل لي.

قال طارق بعدما قام من جوارهما ووقف ، وصاح :

– أنا طارق ، هل من منادي؟!

ثم وقف أمام بيبي وأمسك بيديه بشكل إستعراضي ، وقال :

– أنا لا أخاف ٠

– هل أنت طارق؟

الرجلان مرة أخرى

جاء الصوت من خلفهما ومن أمامهما ، صوت بلا صاحب، ارتعشت له ابدانهم، فتلامسوا خوفاً من أن يضيع أحدهم.

رجل يرتدي الزي البدوي ذو بشرة سمراء يتبعه آخر يرتدي الملابس الحديثة يخرجان اليهم من الظلمة.

قال بيبي :

– هما

إقتربا كثيراً.

نادي عليهم صوت آخر :

– يا طارق، يا نونو.

ثم تحدث مع غيره الذي يبدو أنه يرافقه.

– اخاف أن ينصرفوا قبل أن يأتي اليهم السائق رمضان.

تراجع ذو البشرة السمراء وصاحبه.

وما أن ظهر للجميع حمدان ومعه اكواب الشاي حتي اختفيا الإثنان من المكان في الحال.

قال بيبي :

– هل رأيتهما؟! أم كنت أحلم.

نادي حمدان عليهما :

– يا أستاذ .. يا أستاذ.

ثم التفت اليهم ، وكانت مازالت أكواب الشاي معه.

– هل تعرفهما؟!

هزوا رءوسهم بالنفي.

– سوف يمسك بهم الشرطي صابر ، فالدخول إلي هذه الأماكن الأثرية ليلاً ممنوع .. اتعرفون؟

اعطي كل واحد منهم كوب شاي قليل السخونة.

– اشربوا.

رشف كل واحد منهم قطرات منه ، وانصتوا له :

– عندما اتيت الي هنا للعمل كحارس ، طلبوا مني أن اختار لي هرماً أحرسه.

كان حمدان قد جلس علي حجر من أحجار هرم منكاورع أمامهم.

قال طارق الذي كان يفتش بعينيه حوله عن الرجلين.

– فأخترت هرم منكاورع.

فأجابه حمدان :

– نعم ، فمنكاورع كان ملكاً طيباً يحب شعبه ، حتي عندما أراد أن يبني هرمه بناه هرماً صغيراً مساحته أقل من نصف المساحة التي اقيم عليها الهرم الأكبر ، ولم يبلغ ارتفاعه اكثر من ٢١٨ قدم ، وإن كان حالياً يرتفع ٢١٤ قدم.

– تأخرت عليكما.

فجأة وبدون مقدمات حركية من السائق رمضان وجدوه أمامهم يتحدث اليهم.

رفع حمدان رأسه ناظراً اليه قائلاً :

– وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، يا أخي إذا دخل رجل علي قوم بادرهم بالسلام ، لماذا تأخرت؟! والله يا أخي نحن قاعدون من صباحة ربنا في إنتظارك.

ثم مد يده عاليا بكوب الشاي اليه.

– تفضل إشرب شاي معنا.

بيت بيبي

قال وهو ينظر إليهما في دهشة :

– من هذا ؟

أجاب طارق :

– بيبي ·

قال السائق رمضان مرة ثانية :

– ألن يعود إلي البيت ؟

كان يود طارق أن يقول له إنه بلا بيت ، فبيته قديماً قد اتلفه مرور السنين ، ولم يعد منه إلا أطلالاً في تلك المنطقة التي كانت أول عاصمة في التاريخ ابن جح أو منف كما يطلق عليها ·

قال طارق بعد تفكير :

– لا ، سيأتي معنا

نظر السائق رمضان في مرآة سيارته ورآه جالساً في مقعده نحيفاً هزيلاً لم يأكل من سنين ·

– وبعد أن يأتي معنا ؟

قال نونو :

– إنه صديقنا القديم ، تعرفنا عليه وسيعود إلي البيت في صباح اليوم الجديد .

قال السائق رمضان :

– وأين بيته ؟ ، قد يكون في طريقنا ·

قال نونو :

– إنه من مدينة منف

قال السائق رمضان :



- من أين بالضبط ، شارع من ؟ بيت من ؟!
قال نونو :
- أتعرف أمحوتب المهندس المعماري الشهير ؟
قال السائق رمضان :
- نعم
قال نونو :
- إنه يسكن في شارعه القديم ٠
ضحك السائق رمضان .. وقال منهيا السؤال والجواب عن بيبي :
- لماذا تأخرتما ؟
قال طارق :
- كنا نتجول في المنطقة لإكتشاف آثار جديدة .
قال السائق رمضان :
- وهل وجدتما أثر ذو أهمية ؟
قال طارق :
- نعم بيبي
قال السائق رمضان :
- الأستاذ رءوف والمعلمة سعاد سيبلغان ولي أمركما بهذا التأخير ؟

المطاردة

كانت أضواء المدينة الساطعة تشبه النجوم في سماء الليل المظلمة ، كان نونو ينظر إليها ويغمض عينيه ليتذكر مدينته البعيدة التي أوحشته كثيراً ٠

جاء صوت السائق رمضان غاضباً :

- هناك سيارة لرجلين تتبع سيارتنا منذ أن خرجنا من الهرم سأنحرف يمينا حتي أري هل يتتبعاني فعلاً أم لا ٠
إنحرف السائق رمضان يمينا فإنحرفت معه سيارة الرجلين ٠
قال السائق رمضان :
- فعلاً .. ما العمل ؟!
جاورت السيارة الصغيرة الأتوبيس ، واخرج الرجل صاحب البشرة البيضاء رأسه من نافذة السيارة :
- قف ..
قال السائق رمضان :
- ولماذا أقف ؟!
قال الرجل صاحب البشرة البيضاء :
- لقد أخذتم إبننا بيبي ٠
كان بيبي محاطاً بطارق ونونو :
قال السائق رمضان مخاطباً طارق ونونو :
- هل ما يقوله هذا الرجل صحيح ؟
قال طارق :
- انه ليس بإبنهما ، إنه بيبي ٠
قال السائق رمضان :
- أنا لاأفهم ، أشر علي ماذا أفعل الأن ؟
قال طارق :
- إذهب بنا إلي قسم شرطة الأثار بالهرم.
زاد السائق رمضان من سرعة الأتوبيس ، فأخلف وراءه سيارة الرجلين تحاول جاهدة اللحاق به ٠
- هذا ما كنت سأفعله .

قسم الشرطة والنهاية

مرة واحدة أوقف الأتوبيس أمام باب قسم شرطة الأثار.

كان طارق قد استعد للنزول بعدما صافح بيبي كثيراً وقال له :

– لاتغضب مني ، فما أفعله هو الفعل الصحيح ، وقد نلتقي مرة ثانية ، فأنا أحب مشاهدة الأثار كثيراً •

قال السائق رمضان :

– لقد إختفت السيارة

وإلتفت حوله مكملاً كلامه :

– هل صحيح إنك إبن ....

أصابته الدهشة ، ولم يتحرك كانت عيناه مفتوحة علي آخرهما

كان طارق قد نزل ، ودخل القسم .. وعاد ومعه الضابط الذي حي السائق رمضان :

– كيف حالك يا رمضان ؟

لم يجب رمضان بل ظل في مكانه صامتاً ينظر خلفه فاتحاً فمه•

نادي الضابط من مكانه داخل الأتوبيس علي شرطيين .. خلفه وقف طارق لايصدق ما يراه •

قال الضابط :

– شكراً لك يا طارق وأنت يا عم رمضان ، إننا نبحث من أيام عن المومياء لتلميذ فرعوني اسمه بيبي سرقه رجلان •

كان بيبي ممداً فوق المقعد ، فاتحاً فمه ، ينظر إليهم جميعاً ، ولايتحرك •

قال نونو الذي أمسك بيد صاحبه طارق :

– هل يرانا ؟!

قال الضابط مداعباً طارق متأهباً لمغادرة الأتوبيس لقد أصبحت مكتشفاً آثاراً، لاتنسي أن تأتي في صباح الغد حتي نستكمل كتابة الأوراق الرسمية عن هذا الإكتشاف •

أغلق السائق رمضان باب سيارته ، ودعك عينيه بقبضة يديه .. وقال :

– هل أنا في حلم أم في علم ؟!

ولم يتحدث طول الطريق حتي بيت طارق •

وعند بيت طارق ودعهما وإنصرف ..

قال طارق لنونو :

– وأنت ؟

قال نونو :

– جاء ميعاد الرحيل

وتعانقا كثيراً •

وفي نافذة حجرة طارق كان يقف طارق ينظر إلي سماء اللـه الواسعة ، يدعك عينيه ويقول:

– هل أنا في حلم أم في علم.

تمت

هذه الطبعة من سلسلة روايات الهلال للأولاد والبنات
تصدرها دار الهلال
بالاشتراك مع المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة